

الإمام الجواد عليه السلام

الإمامة المبكرة ... وتداعيات الصراع العباسي

تأليف
السيد محمد علي الحلو

مراجعة
مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية



الإمام محمد الجواد عليه السلام

الإمامة المبكرة.. وتداعيات الصراع العباسي

الإمام محمد الجواد عليه السلام

الإمامة المبكرة.. وتداعيات الصراع العباسي

تأليف

السيّد محمّد علي الحلو

مؤسّسة السبطين عليهما السلام العالميّة



ايران ـ قم ـ شارع انقلاب ـ زقاق ٢٦ رقم ٤٧ و ٤٩

هاتف: ٧٧٠٣٣٣٠ ـ فاكس: ٧٧٠٦٢٣٨

URL:www.sibtayn.com

E-mail:sibtayn@ibtayn.com

هوية الكتاب

الكتاب: .... الإمام الجواد عليه السلام، الإمامة المبكرة

تأليف: .... السيّد محمّد علي الحلو

الناشر: .... مؤسسة السبطين عليهما السلام العالميّة

الطبعة: .... الأولى

المطبعة: .... شريعت

التاريخ: .... ١٤٢٩هـ. ق / ١٣٨٧ هـ. ش

الكمية: ١٠٠٠نسخه

السعر: ٢٢٠٠تومان

شابک: .... ١ ـ ١٩ ـ ٨٧١٦ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨



الإهداء

سيّدي يا أبا محمّد.... أيّها الرضا

من عبق الإمامة تصنع ملامح الولاء...

وهوية الانتماء تحكي فصول الدفاع

عن تاريخ المضرّج بالدماء...

فإليكم ـ سيّدي ـ تنتمي الكلمات...

وتطوي مسافات الزمن...

لتحكي صراعات الماضي مدجّجة

بمحن الحاضر في الانتماء...

محمد علي

كلمة المؤسّسة

يسرّ مؤسّسة السبطين عليهما‌السلام العالميّة أن تقدّم إلىٰ القارئ كتاباً جديداً من مؤلّفات الباحث (السيّد محمّد علي الحلو) وهو باحث معاصر يتميّز بكونه ينتسب إلى الخطاب الحديث في تعامله مع الحدث التاريخي أو الشخصيّة التاريخيّة، أو الموقف التاريخي... إلىٰ آخره.

إنّ المعنيين بهذا الشأن الثقافي ينشطرون إلى اللغة الموروثة في التعامل مع الظاهرة، وإلى اللغة الحديثة، حيث يتميّز (الحلو) بتوفّره على الشطر الآخر، وهذا ما يهب كتاباته قيّمة معرفيّة جديدة من جانب أو يهبها جماليّة وطرافة ومتعة من الجانب الآخر، ولا يخفىٰ أنّ الكتابة الموروثة عند ما تدور حول ما هو مكرّر وما هو غير متناغم مع العصر، تفقد جاذبيّتها وتبعث على الملل بخلاف ما لو خاطبت القارئ بلغة وبمنهج وبتحليل يعتمد البُعد النفسي والاجتماعي في التعامل مع الظواهر المطروحة، حيث أنّ ولادة المعرفة المرتبطة بعلوم النفس والتربية والاجتماع إلىٰ آخره، تسهم بلا شك في إكساب التحليل والتفسير والتقويم أهميّة لها ظرافتها ومتعتها.

إنّ القارئ للاصدار الجديد لهذا الكاتب، وهو: ما يرتبط بالإمام الجواد عليه‌السلام، يجد جملة خصائص قد واكبت الكتابة المذكورة، منها: الربط أو التمهيد بين البيئة السياسيّة بخاصّة وانعكاسها على الظاهرة المبحوثة، حيث تمنح البحث عمقاً أكبر لفهم الظاهرة. كما أنّ إبراز الجانب المرتبط بما هو معجز في حياة الإمام عليه‌السلام، حيث تولّىٰ الإمامة في عمره المبكر، والاستشهاد بشخصيّات نبويّة مثل يحيىٰ وعيسىٰ بحكمة أتاهما الله تعالىٰ الحكم صبيين، يظل بدوره عنصراً معمقاً لقناعة القارئ.

ولا نغفل جهة ثالثة ثبّتها هنا الباحث وهي: الأسباب الظاهرة والخفيّة وتداعياتها المتنوّعة الكامنة وراء تعامل السلطان العبّاسي (المأمون) بخاصّة مع الإمام الجواد عليه السلام من حيث إظهاره للعجز العلمي وتنبيه للإمام عليه السلام، للمصالحة بين صراع الخليفة مع التيار المعارض وأهدافه التي جعلت المعنيين بالامر يتفاوتون في تقويمهم للسلطان المذكور من حيث انتصاره لمذهب الحق أو العكس من ذلك.

هذا بالاضافة إلىٰ محاور متنوعة في الكتاب المذكور، يجدها القارئ متّسمة بما هو عميق وطريف وجديد...

وفي ضوء ما تقدّم يجد القارئ في كتابة الباحث المعاصر (الحلو) نكهة خاصّة لها أهميّتها كما أشرنا.

بخاصّة وأنّ مؤسّستنا قدّمت للقارئ جملة اصدارات للكاتب المذكور في نطاق الشخصيّات المعصومة عليهم السلام، مثل (الحسن عليه السلام)، والشخصيّات المنتسبة لأهل البيت عليهم السلام مثل (... الحسين عليه السلام) وفي نطاق الابحاث العقائديّة مثل (التحريف...) إلىٰ آخره، حيث أنّ الانتصار لأحقيّة المذهب الإمامي وإظهار الزيف الذي كثّفه أعداء المذهب يظل أبرز النتائج التي توفّر عليها الباحث المشار إليه. وما نعمله هو: أن يتابع الكاتب المذكور رصده لسائر الشخصيّات المعصومة، وسائر الأبحاث العقائديّة وسواها ممّا تفتقر إليه حياتنا المعاصرة.

ختاماً نكرّر الإشارة إلىٰ أهميّة هذا الكتاب وسواه، سائلين الله تعالىٰ أن يوفّق مؤسّستنا لنشر المزيد من الإصدارات المرتبطة بمعرفة مذهب الحقّ، إنّه وليّ التوفيق.

مؤسّسة السبطين عليهما السلام العالميّة

٢٠ جمادى الثاني ١٤٢٩ هجرى قمرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

لم تكن دراسة حياة الإمام الجواد عليه السلام تنطلق من الحاجة إلى قراءات التاريخ الإسلامي بما ينسجم وتاريخ التحدّيات السياسية التي رافقت بلورة نظام الحكم والتنظيم السياسي الإسلامي، وإن كان ذلك أحد دواعي الدراسة كذلك، إلّا أنّ قراءة حياة الإمام الجواد عليه السلام تمثّل الحقيقة الحرجة لمعطيات الظرف العام الذي يعيشه المسلمون آنذاك، فالإمام الجواد مثَّلَ تطلّعاً جديداً في العطاء العام للقيادة الإسلامية التي تقود الأُمة نحو الهدف الأسمى والأكمل، فالإمامة المبكّرة للإمام الجواد عليه السلام كانت تحوّلاً جديداً في صياغة الأُطروحة الإسلامية للحكم، والتنظير لها بما يعطي قراءة جديدة للقيادة المعصومة التي تجاوزت الحسابات المادية؛ لكونها صياغة إلهية مسدّدة بغض النظر عن عُمر الإمام الذي يتولّى مهمّة الإمامة، بل يمكن أن نقول: إنّ إمامة الجواد المبكرة كانت تحدّياً حقيقياً لتقليدية الحكم العباسي الذي تجاوز مرحلة النضج والرشد للخليفة العباسي الوريث لحكم آبائه، فالخليفة العباسي كان يعيش محنة عدم النضج والتكامل، فإنّه ما أن وصل إلى

منصب الخلافة بالوراثة التقليدية، حتىٰ بذل الجهود في تربيته الخاصة لإنضاجه، ولكنّه رغم ذلك كان يعاني من تعثّرات الأداء في إدارة الدولة، ويؤول الأمر إلى استيلاء ذوي الحنكة السياسية من القادة والخدم والصبيان الذين يحيطون بالخليفة، فتدار الدولة على أساس مشتهيات هذا اللوبي أو ذاك، في حين تُثبت إمامة الجواد المبكّرة تحدياً كبيراً لتقليدية الوراثة العباسية، ولنظرية الاستحقاق الوراثي الذي يتقلّد من خلاله الخليفة العباسي منصبه.

وفي عمر مبكرة كان للإمام الجواد عليه السلام جولات صراع لإثبات أنّ الحق مع هذا الخطّ الإلهي، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكانت المناظرات قائمة بين الإمام وبين مخالفيه بما يشكّل تهديداً حقيقياً للوجود العباسي، بل لوجود مدرسة الخلفاء المقابلة لمدرسة آل البيت المعصومة، وعلى هذا الأساس أخذ الصراع العباسي منحىً جدياً، فهو اليوم يواجه خطراً حقيقياً يطيح بكل مبتنياته، بل يمكن القول: إنّ إمامة الجواد المبكرة كانت ثورة تغلي وتتّقد دواعيها بشكل خفي، حتى في مشاعر العباسيين أنفسهم، إذ يرىٰ هؤلاء أنّ الخلافة لا تنتقل بالوراثة النسبية التقليدية، بل هي قضية إلهية لا يمكن تجاوزها، والإمام الجواد السباعي أو الثماني من العمر يشكّل معلماً رئيسياً لهذا التحدّي الخطير، فقناعات العباسيين لإمامة الجواد المبكرة تسير وفق قناعات الإنسان بكل موضوعيته، واعتباراته عقلائية، ومعارضة العباسيين للإمام الجواد عليه السلام تسير وفق سياقات التنافس السياسي، فهم بالنتيجة في أعماق ذواتهم «المنكسرة» يقتنعون بمعجزات الإمام، وبالتالي بأحقّيته في الخلافة والإمامة، إلّا أنّ هذا التحدّي يعني إلغاء دورهم كحاكمين ويحيلهم محكومين تابعين.

من هنا نشأ الصراع العباسي في قراءة متحدية لواقع أهل البيت عليهم السلام من قِبَل المأمون العَبَاسي، الذي كان يعيش قلق الاستحقاق الحقيقي الذي يجده في آل البيت عليهم السلام، وكذلك يعيش هاجس انتقال السلطة من البيت العباسي إلى البيت العلوي، وهو الهاجس نفسه الذي يعيشه العباسيون كذلك، فالمأمون مثلاً كان يمثّل حقبة الصراع العباسي ـ العباسي، والإمام الجواد يمثّل التحدّي الحقيقي لسلطة العباسيين التي يقرأ جميع فصولها المسلمون، ولذلك فحياة الإمام الجواد عليه السلام مثّلت مقطعاً مهماً من الصراع بين فلسفتين متناقضتين في الحكم والسياسة والحياة بجميع مفاصلها، من هنا تنطلق أهمية دراسة حياة الإمام الجواد عليه السلام وتاريخه المليء بالتحديات العباسية والمؤامرات والفتن.

ومن العجيب أنّ هذا المقطع التاريخي قد أُلغيت فصوله التاريخية، أو اختفىٰ منها الكثير، وصودر الأكثر؛ لذا تجد أنّ الباحث في هذا المقطع التاريخي المثير يجد الصعوبة بمكان في تحديد معالم الصراع والوقوف على مفاصله؛ لندرة النصوص، أو إلغاء الكثير من فصول هذا الصراع، والتعتيم على هذه الفترة التاريخية الحرجة من حياة الأُمة الإسلامية؛ لذا تجد أنّ الدراسة عن الإمام الجواد عليه السلام لا تتعدّى سوى استعراض مبسّط لجزء من حياته الشريفة، والباقي صادرته كتابات المؤرّخين بالإشارة الخاطفة لحياة هذا المقطع المثير، أو أخفت السلطات الحاكمة الكثير من هذا التراث التاريخي المهم، وبذلك فإنّ المؤرخ الإسلامي متّهم بالإهمال ـ على أحسن تقدير ـ لهذه الفترة المعطاء من حياة الإمام الجواد عليه السلام. أمّا على أساس الكتابات الشيعية فهي بالرغم من أنّها معدودة جداً إلّا أنّها لا يتعدّى أكثرها عن إشارات لحياة الإمام الجواد عليه السلام عدا ما كتبه العلّامة

المحقق السيد عبدالرازق المقرّم في كتابه الإمام الجواد ﷺ: فكانت دراسة تحليلية في أكثر جوانبها بعيدة عن السرد، ومهما يكن من أمر فإنّ حياة الإمام الجواد ﷺ تستدعي الوقوف كثيراً لقراءة هذا المقطع الرائع من «الإمامة المبكرة وتداعيات الصراع العباسي».

شعبان ذكرى ولادة الإمام زين العابدين ﷺ

١٤٢٨ هـ

محمد علي السيد يحيى السيد محمد الحلو

الدعوة العباسية قراءة تأسيسية

دخلت الأُمة الإسلامية بعد هدنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية ابن أبي سفيان منعطفاً خطيراً، إذ أُحيلت الخلافة الإسلامية إلى وراثة كسروية وملك قيصري، ومن جرّاء ذلك نشطت التيارات السياسية، وانطلقت توجّهات دينية وفلسفات ثقافية وتطلّعات طائفية جرّاء التعسفات التي أصابت الأُمة، وخلقت بذلك دواعيَ للتكتّلات السياسية، بل قل: للتجمّعات السرية التي روّجت من خلال نشاطها فكرة الانقلابات السياسية التي تأطّرت بإطار الثورة الداعية إلى التغيير بلافتة علوية تدعو للرضا من آل محمدٍ صلى الله عليه وآله.

ويبدو أنّ المتاجرة بهذا الشعار هو أقصر الطرق للوصول إلى الغايات المرجوّة، فكانت الدعوة العباسية حاضرة في الأحداث الإسلامية، بل من أقوى الأنشطة المعارضة للسياسة الأُموية المجحفة بحقوق المسلمين؛ لذا فقد نجحت هذه الدعوة في استقطاب الكثير ممّن دعتهم مقتضيات النصرة لآل البيت بالانضمام إلى تكتّلات هذه الدعوة، ودخل الكثير ممّن كان ناقماً من التعسّف الأُموي الذي أذاق الناس وبال السكوت عن الظلم والقبول بالواقع المعاش، وسارع الآخرون الذين حلموا بالحصول على مناصب حرموا من التمتع بها في عهد الأُمويين. وكان

الهاشميون أوائل طلائع التنظيم، فأبو هاشم بن محمد بن الحنفية هو صاحب فكرة التنظيم، والعلويون هم أهل «براعة الاختراع» لهذه الحركة الهاشمية، وآل العباس أتباع مستضعفون ينضوون تحت لواء العلويين في هذا التنظيم السرِّي الذي تزعّمه أبو هاشم بن محمد بن الحنفية، الذي عرّفه بعض المؤرِّخين بالزعيم الكيساني، وهو ما يمكن استبعاده في جوٍّ ملبّدٍ بغيوم الريبة حيال أي توجّهٍ خارجٍ عن إطار عقيدة آل البيت عليهم السلام، ومن غير المناسب أن يخالف أبو هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب دين آبائه لينتسب إلى الكيسانية أو غيرها من التوجّهات العقائدية. نعم، بالإمكان القول بأنّ التفاف بعض الكيسانية حول دعوته وهو في طور التأسيس السرِّي جعل البعض ينظر إلى أبي هاشم بمنظار الكيسانية، ويبدو أنّ قتل أبي هاشم على يد سليمان بن عبدالملك جعل الدعوة السرية تنحو مساراً آخر اتخذته للحفاظ علىٰ خطّ هذه الحركة وسرّيتها، بعد أن تسلّم مهامّها محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، أي تحال الدعوة العلوية إلى دعوة عباسية، ومن الغريب في الأمر انتقال هذه الدعوة إلى محمد بن علي العباسي، بعد أن عهد بها إليه زعيمها العلوي أبو هاشم بعد موته، كما عليه أكثر المؤرخين.

ويمكن أن نتوقّف عند هذه الحادثة الغريبة، فمن العجيب أن يتجاوز أبو هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، وأن لا يعهد إلى أحد من الهاشميين حتىٰ وقع اختياره على محمد بن علي العباسي، ومهما يكن من أمر فإنّ توجّسات الريبة تحيط بتحركات هؤلاء العباسيين. وحادثة عبيدالله بن العباس لازالت في ذاكرة الهاشميين بعد غدره بالإمام الحسن بن علي عليهما السلام في حادثة الانهزام عن قيادة جيشه والالتحاق بمعاوية، واستيلاء عبدالله بن العباس على أموال البصرة

حسبما ذكره بعض المؤرّخين، إلّا إنّ بعضهم كانوا يُبرِّئون ساحة عبدالله وينسبون الحادثة إلى عبيدالله، أو إلىٰ أحد أولاد العباس بن عبدالمطلب. أو أنّ بعضهم اعتمد على مُسوِّغات هذا التصرف من قبل عبدالله بن عباس، وجعل ذلك في ضمن دائرة الممكن من الأعمال التي يرتكبها غير المعصوم، والذي يفسِّر الأُمور في ضوء اجتهاداته القاصرة، إلى غير ذلك من تعثّر العلاقة بين آل عليٍّ وآل العباس، وهذا ما يدفعنا إلى عدم ترجيح إمكانية إيكال الأمر بالوصية إلى محمد بن علي العباسي من قبل أبي هاشم بن محمد العلوي، وأغلب الظن أنّ الاحتمال عندنا يقوم على أساس إمكانية استغلال الفراغ العلوي في دعوة أبي هاشم، فربّما كان الاغتيال مفاجأةً أربكَ العلويّين دون أن يدخلوا في عملية انتقال الدعوة إليهم، أو أنّ محمد بن علي بن عبدالله بادر إلى استلام الدعوة بصورة خاطفة ليقطع فيها الطريق على الآخرين، ومنهم العلويين إلى استلام الدعوة.

أو يمكن القول: إنّ العلويين لم يزجّوا أنفسهم في مثل هذه التنظيمات «الحزبية» التي يعلمون فيها عاقبة أمرهم من مطاردة الأُمويين لهم، ومن كون أنفاسهم تُحصىٰ من قبل عيون الأُمويين الذين راحوا يراقبون أدنى حركاتهم، ودليل ذلك: أنّ أبا هاشم بن محمد بن الحنيفة وقع في فخ الأُمويين، فكانت نتيجته التصفية والتنكيل، وذلك لمراقبة الأُمويين تحركات العلويين ومنهم أبو هاشم، في حين يبقى بنو العباس بعيدين عن عيون السلطة وتوجّساتها؛ حتى استطاع محمد ابن علي أن يُكمل مسيرة الدعوة دون الوقوع تحت أنظار السلطة الأُموية، وبالفعل استمرت الدعوة العباسية حتى أتت أُكلها.

ولا يمكننا أن نغفل عن إمكانية محمد بن علي التنظيمية، ومعها يمكن أن

نكتشف دقة تحركاته، وإمكانية اختطاف هذا العمل التنظيمي من صاحب الدعوة الرئيسي الزعيم العلوي أبو هاشم، ومن هنا يمكننا أن نرجّح أنّ هناك انقلاباً دُبّر في ليل على دعوة العلويين ليحوزها العباسيون، ويبقى الشك قائماً على كون محمد بن علي قد تزعّم التنظيم بوصية أبي هاشم بعد موته.

فالتنظيم الدقيق الذي عمله محمد بن علي يكشف عن براعة ودهاء وحسن تدبير في تحويل التنظيم باسمه، فقد عمل محمد بن علي على اختيار اثني عشر نقيباً من الدعاة العباسيين: سليمان بن كثير الخزاعي، ومالك بن الهيثم، وطلحة بن زريق، وعمر بن أعين، وعيسى بن أعين، وقحطبة بن شبيب الطائي، ولاهز بن قريظ التميمي، وموسى بن كعب، والقاسم بن مجاشع، وأبو داود خالد بن إبراهيم الشيباني، وأبو علي الهروي شبل بن طهمان الحنفي، وعمران بن اسماعيل المعيطي.

واختار سبعين رجلاً يأتمرون بأمر هذه المجموعة. ولكنّنا لم نجد في هذه الأسماء مَن يمكن ترجيح علويته، فهؤلاء إلى العباسيين أقرب منه إلى آل علي، فضلاً عمّا نقرؤه في كتاب هذا الزعيم العباسي من تبصّر في أحوال البلدان، وتقلّبات شعوب الأمصار، وتوجّهات العامة في أقطار الدولة الإسلامية، وهو في ضوء رؤيته هذه اختطّ العباسيون لأنفسهم خارطة الدعوة والتنظيم السري، فقد جاء في كتاب محمد بن علي ما نصّه:

أمّا الكوفة وسوادها فشيعة عليٍّ وولده، وأمّا البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكفّ، تقول: كُن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل، وأمّا الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون

في أخلاق النصارى. وأمّا أهل الشام فليس يعرفون إلّا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وعداوةً راسخةً وجهلاً متراكماً. وأمّا مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان، فإنّ هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة. وقلوب فارغة، لم تتقسّمها الأهواء ولم يتوزّعها الدغل، وهم جند لهم أبدان وأجسام، ومناكب وكواهل وهامات، ولِحىً وشوارب، وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة... وبعد، فإني أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق[١].

والرسالة تقدم مسحاً شاملاً لشعوب البقعة الإسلامية، وتصنّف الناس على أساس الولاء السياسي والفكر العقائدي، الذي وزّع أهواءهم بين شيعة علويين كما في الكوفة، وبين عثمانية الدين كما في البصرة، أو حرورية مارقين كما في الجزيرة، وإلى مروانية الشام، وعمرية المدينتين، وهو بقدر ما يتشاءم في توزيعه هذا يتطّلع إلى أهل خراسان الذي ضمن ولاءَهم بوصفهم «أهل الصدور السليمة والقلوب الفارغة»، وهي إشارة إلى إمكانية استغلال الخراسانيين، والإملاء عليهم ولاء آل بني العباس بحجة النصرة لآل محمد والرضا لهم، وهم بذلك سيكسبون الجولة في دعوتهم هذه بحزب خراسانيٍّ جاهز الولاء...

إنّ ما يثير التساؤل حقّاً هو ما أشار إليه محمد بن علي العباسي، من أنّ توجّساً حذراً يحيط بولاء الكوفيّين في استجابتهم لدعوته، وهو ما يكشف لدينا أنّ الفجوة الكبيرة التي تفصل الكوفيين عن دعوة العباسيين هذه سببها ما ينظر إليه

---

(١) عصر المأمون، لأحمد فريد رفاعي: ٨٣.

شيعة الكوفة من عدم الثقة في تحرّك محمد بن علي، بل عدم مشروعية تحرّكه، وهو ما يثبت لدينا قضيتين:

الأُولى: أنّ كيسانية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية مختلقة حقاً، إذ لو كانت حقيقةً لاستفاد من ولاء الكوفيّين الشيعة، والكيسانيين الذين يتمركزون في الكوفة كذلك، وهي نفس الدعوى الباطلة في كيسانية المختار الثقفي الذي ظنّ بعض المؤرّخين أنّه اتّخذ الكوفة منطلقاً لحركته؛ لما تضمّه الكوفة من المذهب الكيساني، في حين نجد أنّ محمد بن علي بن عبدالله يبعد احتمالية نصرة الكوفيين له وانضمامهم لدعوته، ممّا يؤكد لنا أنّ كيسانية أبي هاشم غير ثابتة، وأنّ أنصاره من الكيسانية أمرٌ غير حقيقي.

الثانية: أنّ ابتعاد محمد بن علي بن عبدالله بدعوته عن الكوفيين الشيعة يثبت عدم ولاء الشيعة له، وبالتالي فهو على غير وفاق مع أبي هاشم بن محمد، الذي أثبتنا عدم كيسانيته، بل الأصحّ هو ثبوت تشيّعه حقيقة، وهي قضية توحي لنا بأنّ شكّاً يحوم حول مصرع أبي هاشم على يد سليمان بن عبدالملك، فلربّما كانت تصفية أبي هاشم على يد محمد بن علي بن عبدالله؛ ليحوز بحظوة قيادة الحركة التنظيمية العلوية، وليحيلها عباسية صرفة، وهي ما تشير إليه أخبار التنظيم السري من أنّ محمد بن عليّ اختار لحركته اثني عشر نقيباً غير معروفين بالولاء العلوي، بل يختصّون بولائهم العباسي، أي أنّ هناك انقلاباً نقل زعامة التنظيم بهدوء من القيادة العلوية إلى القيادة العباسية، وهو ما أردنا الوصول إليه بعد بحثنا هذا، وخلاصته:

إنّ قتل أبي هاشم بن محمد بن الحنفية يحتمل أن لا يكون على يد سليمان بن

عبدالملك؛ وذلك إذا كان القتل بسبب ما علمه الأُمويّون من حركة أبي هاشم التنظيمية السرية لكان الآخرون الذين مع أبي هاشم قد تعرضوا للتصفية كذلك، ولو كان الأُمويون قد اكتشفوا التنظيم وأخذوا أبي هاشم بجريرة الحركة السرية والانقلاب على سلطتهم لكان أتباعه الآخرون معرضّين لنفس المصير، خصوصاً محمد بن علي بن عبدالله الذي عُرف بشخصيته ومنزلته الخطيرة في قلوب أتباعه، والترجيح القائم لدينا أنّ تصفية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية حدثت على يد محمد بن علي بن عبدالله، أو بأمرٍ منه، ممّا حدا بمحمدٍ هذا أن ينقل التنظيم إلى العباسيين ويخصّهم وحدهم به، لذلك حاول أن يبتعد عن مركز الولاء العلوي وهو الكوفة، وأن يجد ولاءً جديداً يحمله الخراسانيون؛ وذلك بعد أن بذل جهداً استثنائياً ليربّيهم على دعوته، دون أن يُدخل مراكز الولاء العلوية الأُخرى كالكوفة واليمن وغيرها في خطّته.

هذا ما يمكن أن يكون رأينا في خصوص العلاقة بين أبي هاشم العلوي وبين محمد بن علي العباسي، أي أنّ هناك اختطافاً مفاجئاً حدث في نقل التنظيم السري من العلويّين إلى العباسيّين، ومنذ تلك اللحظة بدأ تنافس العباسيين للعلويين وتوجّسهم من وجودهم، وشعور العباسيين بأنّ هناك حالة غبن تحصل في مشاعر العلويين من استيلاء العباسيين على الجهد التأسيسي لحركة الثورة على الأُمويين واستئصالهم، وكأنّ شعور الذنب هذا لدى العباسيين ولّدَ عقدةَ الدونية والنقص لديهم حيال أبناء عمومتهم العلويين؛ ممّا دعاهم إلى ملاحقتهم ومحاولة استئصالهم ظنّاً منهم بأنّ العلويين يتطلّعون إلى سلطة مغبونة اختطفها منهم العباسيون في يوم من الأيام، ولعلّ هذا أحد أسباب العداء العباسي لآل عليٍّ

ومحاولة تصفيتهم وملاحقتهم في كل مكان.

على أنّ التصفية العباسية للخصوم فلسفة نشأت منذ تولّي العباسيين زعامة التنظيم السري، وهي سليقةٌ تعاظمت لديهم منذ ذلك الحين، فحين نقف على وصية إبراهيم بن محمد بن علي المعروف بإبراهيم الإمام نجد أنّ حالة الانتقام وتصفية الخصوم هي فلسفة الحركة العباسية، بل الدولة العباسية بعد ذلك، إذ استطاع العباسيون أن يفرضوا هيمنتهم على الخراسانيين بأخذ البريء بتهمة الجاني، لا على أساس اليقين، بل إنّ الشكل كان هو الحاكم في اتخاذ قرار تصفية الخصوم الحقيقيين أو الوهميين؛ لذا فقد سار أبو مسلم الخراساني على أساس وصية إبراهيم بن محمد بن علي العباسي المعروف بإبراهيم الإمام، على أن يقتل كلّ من ظنّ في معارضته أو شكّ في ولائه، أو تحسّب من معارضته مستقبلاً، أو ترجى إصلاح خطّتهم بتصفيته.

وخطورة الكتاب المرسل إلى أبي مسلم الخراساني تتبيّن حين أحصى المؤرّخون أنّ مقتل الخصوم أو المعارضين للعباسيين بلغ ستمائة ألف نفس قتلت صبراً، بغض النظر عن صحة هذا الرقم أو المبالغة فيه، وهو أمر ممكن في ظل الظرف السياسي الحرج الذي عاشته الدعوة العباسية والتي لم تجد سبيلاً للنصر إلّا بتصفية الخصوم وقتلهم بطريقة أبي مسلم البربرية، فقد جاء في رسالة إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي العباسي الموجّهة إلى أبي مسلم الخراساني ما نصّه:

إنّك رجل منّا أهل بيت[1]، احفظ وصيتي: انظر هذا الحيّ في

(١) الظاهر: منّا أهل البيت، وهي اللغة التي خاطب بها العباسيون رعيتهم وأنصارهم، ودعوى أنّهم هم أهل البيت دعوى تتركّز فيها حالة العداء والتنافس لأهل بيت النبي من آل علي

اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم، فإنّ الله لا يُتمّ هذا الأمر إلّا بهم، واتّهم ربيعة في أمرهم، وأمّا مُضَر فإنّهم العدوّ القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت أن لا تَدَع بخراسان من يتكلّم بالعربية فافعل، وأيّما غلامٍ بلغ خمسة أشبار تتّهمه فاقتله(١).

وبهذا انتهج العباسيون منذ ذلك الحين سياسة تصفية الخصوم، والقتل على الظنّة والتهمة، وسار خلفاؤهم على هذه السياسة من البطش والتنكيل بأدنى معارضة تصدر، فهم يتّهمون الجميع في ولائهم، حتى صنّف إبراهيم الإمام معارضي الدعوة العباسية إلى أربعة أقسام:

أولاً: ربيعة، فإنّهم متّهمون في ولائهم للعباسيين، فولاء ربيعة علوي يتطلّعون لآل عليّ ويتشوّقون لخلافتهم، وهم بعد ذلك قليلو الحظّ من نصرة العباسيين وتأييدهم.

ثانياً: المُضريّون، وهم أصحاب ولاءٍ أُموي، لا يَرون لغير الأُمويين بديلاً؛ فلذا عبّر عنهم بأنّهم «العدوّ القريب الدار».

صلوات الله عليهم؛ لذا حاول العباسيون أن يسوقوا فكرة انتسابهم لآل البيت لعقدة النسب التي كان يعاني منها بنو العباس، فضلاً عن شعورهم بمنافسة آل علي بنسبهم التليد هذا، والذي يأخذ مأخذه من قلوب المسلمين فينزلونهم بمنزلتهم العظيمة، في حين يبقى العباسي يعاني من عقدة هذا الشعور، فهو يحاول أن يعزّز فكرة الانتساب هذا بطرقٍ عدة ليقطع الطريق على المعارضة العلوية التي تطالبه ـ على الأقلّ ـ بشرف الانتساب للنبي وكونهم سلالته وذرّيته، فضلاً عن تعزيز فكرة أنّ آية التطهير تشمل حتى العباسيين؛ لأنّهم من آل البيت المقصودين في الآية **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** الأحزاب: ٣٣. فهم مشمولون بالعصمة، ومعنى ذلك: أنّهم منزّهون عن ارتكاب القبائح، وكلّ ما يفعله العباسي يدخل في نطاق العصمة، ولا يُعدّ خرقاً للمحذور الشرعي.

(١) عصر المأمون، أحمد فريد رفاعي: ٨٤.

عبّر عنهم بأنّهم «العدوّ القريب الدار».

ثالثاً: كل من تكلّم العربية، والظاهر أنّ ذلك إشارة إلى أنّ التشيّع في خراسان عربي الأصل، والذين يتكلمون العربية هم من شيعة علي، بل هم نواة التشيّع في خراسان، لذا فإنّ إبراهيم الإمام يتوجّس من كلّ من تكلم العربية، وهذا التحذير أثبت أنّ هوية التشيّع هي العربية، وهو أمر يشير إلى أُولئك البائسين الذين ينظرون إلى أنّ التشيع فارسي الأصل، وأنّ كل شيعيٍّ يحمل معه الهوى الفارسي، في حين يطالعنا هذا النصّ خلاف ما أشاعه بعض المؤرّخين الجدد الذي يحملون في عباراتهم تهمة الفارسية لمذهب التشيّع، بل بالعكس، فإنّ تشيّع الخراسانيين عربي الأصل وإن كان ينتسب إلى العرب بالولاء، ولذا أشار إبراهيم الإمام على أبي مسلم من أن يُخلي خراسان من العرب الذين هم شيعة علي.

رابعاً: اليمنيون، فهم معروفون بمقامهم ومنزلتهم في خراسان، وهم وإن كانوا شيعة عليٍّ إلّا أنّ الدعوة العباسية لا تتمّ إلّا باستقطاب هؤلاء اليمنيين إلى هذه الدعوة الجديدة؛ ليضمنوا ولاء الخراسانيين لبني العباس، فإقناعهم يتطلّب أمراً كبيراً وجهداً استثنائياً تتطلّبه كفاءة أبي مسلم الخراساني. وهنا نقف على جهود اليمنيين ـ شيعة أهل البيت ـ وهم أشعرية اليمن في بذل الجهود الأُولى في تشيّع الخراسانيين الفرس، وبذلك فالتشيع الفارسي عربي الهوى والهوية.

أبو سلمة الخلّال العباسي الكوفي المتمرّد

وتنتقل الدعوة العباسية منعطفاً جديداً بعد مقتل إبراهيم الإمام، الذي أوصى إلى أخيه أبي العباس السفّاح، والانتقال من الحُميمة قرب المدينة ـ التي اتخذها

العباسيون منطلقاً لدعوتهم باستقبال الحجيج القادمين من كل البلدان ليطرحوا عليهم دعوتهم بعيداً عن عيون الأُمويّين ورجالهم - إلى الكوفة ذات الولاء العلوي، وقد انضمّ في هذه الأثناء رجلٌ كوفي يسمّىٰ بأبي سلمة الخلّال، وعمل مع العباسيين وساعدهم وهم في الكوفة، إلّا أنّ أبا سلمة الخلال هذا عَدِلَ عن الدعوة العباسية وانحاز إلى العلويين. ولم يقف المؤرّخون على أسباب هذا العدول المفاجئ، إلّا أنّنا نحتمل أنّ أبا سلمة الخلال حينما دخل إلى الدعوة العباسية السرّية دفعه ولاؤه لآل البيت ظنّاً منه أنّ العباسيين يمثّلون تطلّعات العلويين وآمالهم، إلّا أنّه اكتشف بعد ذلك عداء العباسيين لآل علي والتخطيط لمحاولة تصفيتهم، وحقدهم غير المبرَّر لآل البيت عليهم السلام، وهم مع ذلك يسعون في جملة أهدافهم إلى القضاء على المجموعة العلوية المنتسبة لآل البيت، والتي تتحرّك الدعوة العباسية على أساس النصرة لها، وهو نفاق سياسي ديني لم يعجب أبا سلمة الخلّال، ممّا دعاه إلى الانقلاب عليهم وإيجاد بديل علوي يخلف العباسيين في تنظيمهم ضدّ الأُمويين. هذا أغلب الظنّ الذي نحتمله هنا في تحوّل الخلّال من التنظيم العباسي إلى محاولة إقناع العلويين بتولّي زعامة المعارضة الأُموية.

إلّا أنّ أبا سلمة الخلّال أخطأ في حساباته، فقد ظنّ أنّ هناك ثلاثة بدائل، وسيتفق أحدها معه ويَقبَل بعرضه، وهم: الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وعبدالله بن الحسن المحض، وعمر الأشرف.

أمّا الإمام الصادق عليه السلام فقد رفض دعوة الخلّال، وأحرق كتابه بالمصباح الذي كان أمامه، نافياً بذلك قبول أيِّ حركةٍ تنظيميةٍ بهذه الصيغ المنطلقة من نقاشات

سياسية غير شرعية، ومصالح دنيوية شخصية، ولم يكن الخلّال يمثّل تطلّعات الأئمّة عليهم السلام في إقامة دولتهم، ولا طموحاتهم في الوصول إلى هدفهم وهو إقامة دولة الحقّ، ممّا دعا الخلّال أن يَعرض الأمر على عبدالله بن الحسن المحض، الذي أخذ بوعود الخلّال واغتراره بالاندفاع في صنع القيادة البديلة عن بني العباس، ويبدو أنّ العباسيين كانوا قد وقفوا على حركة الخلّال وقبول عبدالله بن الحسن، ممّا دعاهم إلى قتل الخلّال، والتوجّس من عبدالله بن الحسن، الذي آل أمره بحبسه في عهد المنصور وقتل أبنائه بعد خروجهم على المنصور، ومواصلة العداء التقليدي بين العباسيين وبين بني عبدالله الحسنيّين، بل قل بين العباسيين وآل عليٍّ عموماً؛ ممّا عرّضهم إلى التنكيل والتصفية والقتل على يد العباسيين، الذين لا يزالون ينظرون إلى آل عليٍّ بأنّهم المنافسون التقليديون الأقوى من بين كلّ فصائل المعارضة الأُخرىٰ.

تأريخية التنافس بين العباسيين

هذه هي حيثيات التأسيس للمنظمة السرّية العباسية التي جاءت على أنقاض جهود التأسيس العلوي الذي بدأه أبو هاشم أول الأمر. من هنا نقرأ فلسفة التنافس الذي أحاط بتحركات العباسيين، وكيف أنّ هؤلاء الساسة المحترفين يمثّلون طموحات السياسي المحترف الذي من شأنه أن يسحق قيمَهُ ومبادِئَه من أجل تحقيق الفوز السياسي الذي يؤهّله لتبوّء مناصب الدولة، متنكّراً بذلك لجميع حلفائه، وإذا كان الأمر كذلك فلا نستبعد ممارسات العباسيين القمعية مع حلفائهم التقليديين ليحيلوهم إلى أعداء تقليديين، وبذلك كانت حركة الدعوة العباسية

مزدوجة، وهو العمل على إسقاط الأُمويين كدولة قائمة، وكذلك إقصاء المعارضة العلوية المنافسة للعباسيين في طموحاتهم.

إذن لم يكن الصراع العباسي العلوي صراعاً طارئاً وليد أحداث ما بعد تأسيس الدولة، بل هو صراع أيديولوجي تنظيمي أطلق شرارتهُ العباسيون في بادئ الأمر، وأذكى روحه العباسيون أصحاب الدولة، متجاهلين بذلك دور آل عليٍّ في إسقاط أنظمة الحكم الأُموي، وتنظير الحركة الثورية التي أطاحت بآل أبي سفيان، ومصادرة جهود العلويين وإحالتهم إلى أعداء ومعارِضين مطارَدِين يُنكَّل بهم في كل موقعٍ من ساحات الصراع السياسي والاجتماعي والديني، وهو أهمها، بل أشدّها.

من هنا ستكون القراءة التأسيسية للدعوة العباسية ولدولتها تمهيداً لفهم مجريات الأحداث التي أحاطت بحياة الإمام الجواد عليه السلام، والذي عانى بشكل لايمكن تصوّره من المنافسة العباسية التقليدية التي تسحق معها كلّ المبادئ والقيم، والتي من شأنها أن تتّخذ معاناة الإمام الجواد عليه السلام مع رجال الدولة العباسية، بل مع الآخرين من معارضيه الدينيين منحىً جديداً تُستحقّ معه الدراسة والتمعّن والتحقيق.

«والله ليجعلنَّ الله منّي ما يثبت به الحق وأهله، ويمحق الباطل وأهله»(١).

هكذا كان علي بن موسى الرضا عليه السلام يقرأ غيب السماء في ولده القادم «محمد» إنّه الوريث الوحيد لإمامةٍ حافلةٍ بالتحدّيات التي تحيق بإمامة عليّ الرضا، وقد خرج توّاً من معترك الشبهات التي أثارتها «الواقفة» على إمامة أبيه. إنّهم كلابٌ

(١) الكافي، ١/٣٢١، ح ٧ قطعة.

«ممطورة»[(١)] كما وصفهم الرضا من قبل؛ ليخرج من جولات تحدّياتهم منتصراً، مثبتاً لهم ولغيرهم إمامته الإلهية....

قراءة في الصراع العباسي ـ العباسي

كان الجوّ ملبّداً بتحدّيات السياسة، فالمأمون لم تَنتَهِ سباقات تنافساته مع أخيه الأمين بعد... والغلبة الآن للحكمة وللحصافة، فليس للأمين وهو بين عباسيّين حظوة الانتصار، فهو خائر أمام رغباته وأهوائه وليس لنفسه الانقياد، لا لأهوائه الجامحة التي فتكت به أخيراً وألقت برأسه يتدحرج تحت أقدام من أحسن اللعبة مع أخيه المأمون، إنّه الحسين بن طاهر، ذلك القائد الطموح الذي لم يمهل الأمين أن يتنازل عن كرسيه بعد مفاوضاته مع هرثمة بن أعين الذي أحب أن يصلح أمر الأمين ويبقى على حشاشة نفسه[(٢)].

هكذا كانت أجواء السياسة العباسية... مراجل تغلي بالأحقاد والتنافس، ونفوس طامحة إلى الأثرة السياسية الجامحة..

ولم تكن السياسة قد ألقت ثقلها على جهة التحدّيات الأُسرية لبني العباس فحسب، بل كانت تبعات هذا الانفلات تشحن النفوس الموتورة أن تروِّض في حُمّى التشكيك بإمامة الرضا الذي لم يولد له ولدٌ بعد ...، أي كان هذا التنافس الأُسري العباسي يلقي بظلاله على ساحة الأحداث..

وكانت الأحداث مأخوذة في حمى الصراع بين قوميتين، تُراهنان على هوى

---

(١) انظر هامش إكمال الدين، ص ٩٣.

(٢) انظر الأخبار الطوال للدينوري: ٣٩٩.

الأطراف في تقديم عنصر على عنصر، وقومية على أُخرى، وكان العرب يتوجّسون من تقدم الفرس لدى المأمون، وخشية بني العباس أن ينحاز الأمر للفرس بتولّي المأمون قيادة السلطة، وهاجس التنافس محموم في نفوس هؤلاء ومأخوذ بالجدّ في هِمَم أُولئك.

وشأن القلّة من الغرباء أن يلتمسوا مواضع التقدم على حساب غيرهم، فأُثيرت هواجس العباسيين من أُولئك القادمين... ولا ننسىٰ ما للفارق العقائدي من عظيم خطر في إذكاء روح التنافس، فظنّ بنو العباس أنّ الفرس أنصار العلويين وسيستأثرون بالأمر؛ لِما للفرس من هوى التشيّع ومحبّة آل عليٍّ، وهي وراثة ورثوها يوم كان «الحمراء» بعض رعية الكوفيين في عهد علي(ع) الخليفة.. الإنسان... القائد... الأُنموذج في كلّ تعاملاته مع رعيته، وكان له الأثر في رفع الحيف عن أُولئك المستضعفين من حمراء فارس، حتى أزال عنهم ما عانوه أيام الخليفة الثاني من تحقيرهم والازدراء بهم، فكان عاقبة أمره اغتياله على يد بعضهم ثأراً لحقوقهم المهدورة في عهده.

وكان فرق العهدين: أن انتصروا لعليّ الإمام وناصروه وأحبّوه وشايعوه، وأخفَوا بغضَهم للخليفة الثاني؛ لإسرافه في الإمعان بعزلهم ونقص حظوظهم من العطاء، وحثّ أصحابه على إخراجهم من جزيرة العرب، كما صرّح هو به في أُخريات حياته.

هذه دواعي حبّ الفرس لعليّ(ع) وهي الدواعي ذاتها في محبة غير الفرس لعليّ(ع)، والإنسان رهين الإحسان، فكان عليّ(ع) الإحسانَ في كلّ أُموره، فلم يكن التشيّع لعليّ(ع) موقوفاً على الفرس وحدهم، ولم يكن حبّه مرهوناً لقومية

دون أُخرى، فحبّ عليٍّ إنسانيّ يستعذبه كلّ إنسانٍ مولود على فطرة الخير والكمال.

❊ ❊ ❊

كان الفضل بن الربيع «عروبياً» على ما يبدو، يثأر لقوميته من أُولئك البرامكة «الغرباء» الذين قدموا من بلاد فارس، فظلّ الفضل على «عروبة» الخلافة العباسية، وكانت لهذه القومية آفة التطرّف في حسم الأحداث لصالحها، وهذا آفة كلّ قومية، فحرّض الأمينَ أن ينازع أخاه المأمون، وعاضده عليّ بن عيسى بن ماهان الذي أنف تقدم العنصر الفارسي بتقدم المأمون، فعمد على التنكيل بهولاء «الفرس»، الذين تظاهروا على عروبة هؤلاء، هكذا تخيّل علي بن عيسى بن ماهان والفضل بن الربيع ومن هم على شاكلتهما في إحداث الشغب بين الأخوَين، فدفعا محمد الأمين على خلع أخيه المأمون ومبايعة ابنه بولاية العهد، وكان ذلك لثلاثٍ خلون من شهر ربيعٍ الآخر سنة (١٩٤)، فقام إلى العهود التي كتبها الرشيد فحرقها، إمعاناً في نقض العهد ومخالفة المواثيق... ولم يكن أهل خراسان قد خفّوا لهذه البيعة بنقض تلك العهود، وكأنّ الخراسانيّين ثأروا لخؤلتهم في المأمون من أُمّه الفارسية «مراجل» تلك الجارية السوداء، قليلة الحظّ من بين جواري الرشيد، والداخلة في خدمة سيدة القصر العباسي «زبيدة» والدة الأمين. وأنّىٰ لبني العباس أن يُقنعوا أنفسهم بطاعة المأمون فيتغلّب بذلك عنصر الفرس ولتكون لهم الحظوة والسطوة من خليفتهم القادم «المأمون ابن مراجل الفارسية».

❊ ❊ ❊

هكذا كان الصراع بين القوميتين يؤججه أصحاب المصالح.. وتبعث فيه الحياة دواعي الأنفة والمكابرة بين الفريقين، فيأخذ هذا ما حظي به نسبه من التقدم في أمر الخلافة، ويستأثر الآخر ما ميّزته الفطنة في مستقبل الخلافة، فالأمين يفخر بحسبه العباسي، والمأمون يتفاضل بفطنته وذكائه.. ويتميّز الأمين باللهو والإسراف، ويتفرّد المأمون بالجدّ والإسفاف، وبين اللهو والجدّ.. والإسراف والإسفاف..هوة ساحقة من التقدم والجدّ والمثابرة... ومن هذه الهوّة يتترّس الجِدّ في جانبٍ، واللهو في آخر.. ومنهما تنشأ محاسن الطرفين ومثالب الفريقين.. ومن سعيهما تتحقق آمال الأنصار وتكبر أحلام المؤيدين... وتأخذ حلوم ذوي الشأنَ حظوظ الجِدة والأثرة من الأنصار الأوفياء وجماهير المؤيدين.. وتتقاعس مصالح العامة، فلم يجد من يُديم النظر فيها ليكشف عنهم عادية البلاء، ويُزيل عنهم حيف اللأواء، ويجنِّبهم مواضع الشرّ ووحشة الفتن، ويمنعهم بوائق العدوان عند إثارة الشغب ليأخذهم إلى حيث الأمن والاستقرار... ولم يجد فرقاء النزاع مندوحة التصبر عن طَيِّ صفحة التنافس؛ حتى ألقوا الأُمور على كاهل الحسد والأثرة، وأرخوا زمام المصالح فأُلقي الجميع في حضيض نزاعٍ انتهىٰ إلى قتل المأمون للأمين، وانحاز كلّ فريقٍ إلى حيث أهواؤه ومطامعه.

❊ ❊ ❊

لم يسع المأمون إلّا أن يعارض ما صدر من نزق الأمين ليواجهه بالحلم، وطيشه بالجِدّ، ولهوه بالمثابرة، وبطشه بالعفو، وإساءته بالإحسان، وجهله بالحكمة، ولا نوعز هذا التباين في جِبِلّة المتناقضين إلى عفوية الحال، أو صدفة الأُمور، بل كان ذلك لرغبة المأمون أن يحتلّ مكانة الحرم في قلب الرشيد

«الخليفة»، ورعاية الحشمة في نفوس بني العباس «الحاشية»، وسمعة الورع في أذهان العامة «الرعية»، وهذه ـ لعمري ـ مقوّمات السلطان، ودواعي ولاية العهد فيما إذا رغب الرشيد إناطة الأمر إلى أحدهما يوم ترجح الكفاءة على رغبات العاطفة، وتلتمس مقاييس الأهلية حين تحكم في الاختيار...

ولعلّ للنسب والحسب شأن في تقرير مصير ما آل الأمر إليه من اختيار الأمين ولياً لعهد الرشيد، وكان للمأمون حظّ الإمرة والولاية تبعاً إلى أخيه الأمين... وكان الرشيد يعلم فوارق النقيضين فيسجّل شهادته لولديه بقوله:

....وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره إلى من أرضىٰ سيرته، وأحمد طريقته، وأثق بحسن سياسته، وآمن ضعفه ووهنه، وهو عبدالله، وبنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف مع طويته، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء والإماء في رأيه، وعبدالله المرضيّ الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم، فإن ملت إلى عبدالله أسخطت بني هاشم(١)، وإن أفردت محمداً بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية..(٢).

ولا نرجّح ما رجّحه الرشيد في أمر التفاضل على واقعه، بقدر ما ننقل صورة المأمون التي حاول أن يحسنها للعامة تهالكاً على السلطة، وطمعاً في الإمرة،

(١) يعني بذلك: بني العباس دون آل عليّ، فإنّ العلويين ليس لهم شأن في الرغبة عن هذا وتقديم ذاك فيما يخصّ خلفاء بني العباس، الذين لم يشاركوهم في الأمر، ولم يقرّوا لهم بشيء.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٨٦.

وليس دخيلة المأمون أطهر من سيرة الأمين، ولا سريرته بأنقىٰ من طيش أخيه، إلّا فيما يسبقه بحسن التدبير، والاحتيال بحظوة الترشيح، والتنافس على استئثار أحدهما على الآخر حسداً وطمعاً..

❊ ❊ ❊

ولعلّ للمأمون دواعيه في انبثاق ذلك السلوك الذي ميّزه عن أخيه، فشعوره بالعزلة من قبل بني أبيه ونظرتهم الدونية له دعته إلى تأسيس سلوك آخر في التعامل والرغبة في لفت الأنظار إليه...، فالعباسيون لم يقتنعوا بانحدار المأمون من خُؤولته الفارسية بسبب أُمّه مراجل، الأمة المعروفة بعدم حظوتها بين نساء القصر، فهو في العرف العباسي ابن أمة، غير جديرٍ لتقلّد أية مسؤوليةٍ ترفع من مَحْتِدِهِ[١] الحقير.. ولابدّ للمأمون أن يسلك سلوكاً يرتفع على هذه النظرة الخسيسة التي قلّدها إليه العباسيون، فإذا تمرّد على تقاليد حياة البلاط وتقاليد الإمارة من اللهو والمجون والعبث فإنّه يتمرّد الآن على تقاليد بني أبيه العقائدية، التي ما برحت تُقدِّم أبا بكر وعمر على عليّ(ع)، وتحاول عبثاً أن تنيط الحق إلى غير علي(ع)، غير آبِهةٍ بمسلّمات أحقية الخلافة ووصاية الرسول(ص) لعلي(ع)، وقد رواها العباسيون يوم كانوا يستجدون استعطاف الناس لهم، وميل القلوب إليهم، كما استجدَوا بهذه الفضائل لقمة العيش، ومحاباة الناس، واستعطاف قلوبهم، وقد فعل ذلك أبو جعفر المنصور قبل تسلّمه الحكم، وقد كان صُعلوكاً يجوب مواطن

---

(١) المَحْتِد: الأصل والطبع والمقام والمنزلة والخالص من كلّ شيء. لسان العرب ٣: ٤٠ (مادة: حتد).

الاسترزاق ومظانّ التقمّم...

وإذا خالف المأمون بني أبيه في عقيدته فإنّه مدفوع بالانتقام من تقليدية هؤلاء ليصبح مثار الانتباه ومآل اهتمام أهله وذويه، وليتحدّثوا به بعد أن كان مغموراً في خسّة النسب، ومهملاً في بُعد شُقّة الخُؤولة الفارسية، وليحذر منه بنو العباس فيحسبوا فيه حسابهم، ويأخذوا منه حذرهم، ويحتشموه موثوقاً بعقيدة العلوية الزاحفة إليهم خلف الأسوار العباسية الموصدة، فضلاً عمّا سيملكه من رصيد قوة الفرس الذين دخلوا البلاط منافسين للترك، ومبارزين للروم في حصولهم على حظوة القرب في البلاط العربي بما كان هؤلاء الفرس ينحازون في هواهم لعلي وآل علي عليهم السلام؛ مكافأةً منهم على رفع الحيف منهم يوم كان عليٌّ حاكمَ الكوفة وخليفتها، فقد نظر إليهم؛ ضحّية العصبية القبلية حين كانت الكوفة تفاخر بقبائليتها وتفخر على كل عنصر من غير العرب، تمسّكاً منهم بما جعله الخليفة عمر تقدماً لهم على غيرهم، وشدّد على الفرس بأن يخرجوهم من جزيرة العرب إلى حيث لا يراهم هو وقبيله ممّن هم على سنّته وهواه في قوميتهم العروبية، حتّى أنّه أنقص حظوظ الفرس من العطاء، وزاد للعرب في أُعطياتهم دون مراعاة ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1].

هكذا نشأت دوافع الفرس في حبّها لعلي ولآل علي عليهم السلام، لا لصدفة الاتفاق، أو وثبة النزق، أو طيش التعنّت، أو هوى العصبية، بل لداعي الفطرة، وانبعاث الوفاء في النفس الإنسانية بميلها إلى مَن أحسن إليها، فإنّ الإنسان مجبول على حبّ الإحسان، وإذا كان الفرس توّاقين لآل عليٍّ عليه السلام في هواهم، فما الذي يمنع المأمون

---

(١) الحجرات: ١٣.

أن يَدين بدينهم إنسانٌ يأخذه حبّ علي، ويملك فيه عافية التطلّع إلى حياة علي عليه السلام؟ ذلك الإنسان الذي يملك من مواصفات الخلافة الإلهية ما لا يملك غيره، ويقرأ المأمون في عليٍّ عليه السلام سيرة المجاهد كما يقرأ فيه سيرة الزاهد، ويتطلّع إليه عالماً كما يسبره حكيماً، ويبكيه مظلوماً كما يعرفه جادّاً في انتزاع حقّه لولا حرصه على سلامة الإسلام، وبقاء الدين، ووحدة الأُمّة من الضياع....

فإذن «عليّ عليه السلام» ملحمة الإنسان المجهول الذي حاول بنو العباس أن يُزوُوه عن مخيّلة الباحث عن الحقيقة، ويتجاهلوه حرصاً منهم على أن لا تقوم لبنيه قائمة، ويهملوا ذكره سعياً وراء إخفاء ما يملكه بنوه من رصيد المحبّة في قلوب الناس، وهم المعارضة الخفيّة لسلطان العباسيين، وكل هذا لا يُثني عزيمة الباحث عن الحقيقة في علي وآل علي عليهم السلام، والمأمون باحثٌ من الباحثين، ومقتفٍ لآثار الأوّلين، وفرق بين الباحث عن الحقيقة وبين المعتقد بها، فلربّ من يقف على الحقيقة كمطّلع، وربّ من يتابعها كمعتقد، وربّ من تدعوه دواع الرغبة في معرفة ما تخفيه دواعي الحسد، ودوافع الانتقام، وكأنّ المأمون ثالث ثلاثةٍ في اقتفاء الأثر، ومعرفة الجدّ في رغبة بني أبيه بإخفاء معالم علي عليه السلام، فجدَّ منهمكاً في متابعة الحقيقة دون اتّباع الحق، وكان حريصاً كلّ الحرص على إبراز ما أخفاه المنافسون له من بني أبيه تنكيلاً منه بهم، وتحقيراً لدعواهم في أحقّيتهم للخلافة دون طائل، وإمعاناً منه في إطفاء سَورة المكابرة وقد أشعرتهم بأنّهم ظِلَ الله في أرضه، وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله مناجزة لأهل بيت النبي، علي عليه السلام وبنيه...

إذن لم يكن المأمون متشيّعاً لعليّ عليه السلام بقدر ما عني في معارضة بني أبيه، تمرّداً منه عليهم، وبحثاً عن الحقيقة دون الاعتقاد بها، وتثبيتاً للحقّ من غير اعتراف به،

وطلباً للواقع خلافاً لما أظهره مع آل علي كما سيأتي... فضلاً عن إحراز رضا الفرس في دعواه التشيّع لعلي؛ ليضمن بذلك مناصرتهم في دفع المعارضين له من بني العباس، وحرصاً منه على كسب ودِّ العلويين الثائرين، وسنجد أنّ عصر المأمون حفل بثورات المعارضة العلوية، كخروج أبي السرايا، السري بن منصور أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان، ومناصرة بعض العلويين له، كالحسن بن الحسين بن زيد، ومحمد بن محمد بن زيد، والحسن بن إسحاق بن علي بن الحسين، ومحمد بن الحسين بن الحسن، وعلي بن عبد الله بن محمد. وكمبايعة أهل المدينة لمحمد بن جعفر بن محمد عند خروجه على المأمون وخلع نفسه عن البيعة بعد معارك يطول ذكرها، إلى غير ذلك من خروج العلويين عليه، وخطورة ذلك تكمن في كون المأمون خرج توّاً من أخطر معاركه منتصراً على أخيه الأمين، تاركاً في قلوب بني أبيه شعور الخيبة في انشقاق عصبة الخلافة العباسية، وانخرام عصمة الرحم بين وريثَي البيت العباسي في الخلافة، وهي أول حالةٍ تقصم فيها عرى الإخوة بين متنافسين ينتهي أمرهما بأن يُطوّف برأس أحدهما في آفاق البلدان، وهو أمر لا يرتضيه العباسيون، حتى يعلنوا تذمّرهم على المأمون ببيعتهم لعمّه إبراهيم بن المهدي المغنيّ المعروف، رافضين بذلك المأمون، محتملين ما يصيبهم من عنت الطعن واللوم على سوء الاختيار لهذا المغنّي الماجن، وهو أمر يكشف عن مدى لجاجة الأحداث في أن تصل إلى هذا الأمر... ومن هذا فعلى المأمون أن يأخذ حذره من تمرّدٍ محسوبٍ يؤدي به وبملكه، فما السبيل إلى ذلك؟

❊ ❊ ❊

ولعلّ بعضهم يذهب إلى غير ذلك، فهو يرى أنّ طبع المأمون كان مجبولاً على حبّ آل علي عليه السلام دون تكلّف المجاملة، أو التربّص في إرضاء الخصوم العلويين الذين باتوا يرون ملاحاة العباسيين لهم في العداء أمراً تقتضيه جبلّة التنافس، وطبيعة الحريص على اقتناص فرص الغلبة في بسط هيمنة السطوة على غيرهم من منافسيهم، ونقرأ فيما أرّخه ابن الأثير في كامله أنّ المأمون لم يتصنّع العطف أو يتكلّف الحب، أو يستأثر الشفقة على العلويين درءاً لخطر التهالك في الحصول على حطام الملك، أو دفعاً لاحتمال الأسوأ في اتخاذ بعض ما يلومه عليه بنو أبيه من تقديم آل علي في حظوة التكريم وبسط أسباب التبجيل، أو كلّ ما من شأنه أن يرفع من مقامات آل علي عليهم السلام؛ محتملاً لوم اللائمين وتعنيف العاذلين من بني أبيه.

قال ابن الأثير في كامله: قال أبو العباس أحمد بن عبدالله بن عمار: كان المأمون شديد الميل إلى العلويين، والإحسان إليهم، وخبره مشهور معهم، وكان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً، فمن ذلك أنّه توفي في أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين العلوى، فحضر الصلاة عليه بنفسه، ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجّبوا منه، ثم إنّ ولداً لزينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ـوهي ابنة عم المنصور ـ توفّي بعده، فأرسل له المأمون كفناً، وسيّر أخاه صالحاً ليصلّي عليه، ويعزي أُمّه؛ فإنّها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة، فأتى إليها وعزّاها عنه، واعتذر عن تخلّفه عن الصلاة عليه، فظهر غضبها وقالت لابن ابنها: تقدم فصلِّ على أبيك، وتمثلت:

سَبَكْنَاهُ ونَحسِبُه لُجَيناً   فأبدى الكِير عن خُبث الحديدِ

ثم قالت لصالح: قل له: يا بن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد

لوضعت ذيلك على فيك وعدوت خلف جنازته[١].

ولم تجد ما يعزِّز نظرة أُولئك الذين مالوا إلى تشيع المأمون أو أفرطوا فيه بوصفهم أنّ المأمون قد غالى في تشيّعه، كما عن الذهبي في تاريخ الإسلام سنة (٢٠٠ ـ ٢٠١) ما يضمن لنا قوة الحجّة في هذه المقطوعة التاريخية، فلربّما كان يدفعه موقف من مواقف الخطر السياسي الذي أحدق بالمأمون وشيعة عليٍّ يتربصون به، فأراد بذلك دفع غائلة الثورة والتمرّد، أو ربّما كانت شبهة اغتيال المأمون للإمام الرضا عليه السلام تحيق بالمأمون فيتوجّس من خلالها الغوائل، ويدرأ في ذلك عادية الثورات العلوية، أو ـ لنحسن الظن في هذه الواقعة أن نقول وعلى أحسن تقدير: ـ إنّ المأمون كان يعجبه آل أبي طالب، فكان توّاقاً في مواصلتهم والحرص على برهم، لا لعقيدة الإيمان فيه، بل لجبلّة الفتوة التي فُطر عليها المأمون، فأحب فتوة الطالبين الموروثة من فتوة علي وآله الطيبين، وإلّا فليس ذلك ما يبرّر تشيّع المأمون وانكفاءه على عقيدةٍ يعلم فيها نهاية ملكه وحتمية مآله.

ولعلّ ما يدور في خلد العباسيين، وما يجري في أروقة القصر من التهامس بين الساسة وأنصار العباسيين وقادة الأحداث وأُولي الأمر، وما يدبّ بين العامة فيما تلقيه الخاصّة من كون المأمون قد مال في هواه لآل علي، وغلب عليه نصرتهم، وأخذ بحبهم دفع بالمأمون أن يعتذر لقاضيه يحيى بن أكثم مقرّر عقيدة القصر، والسائس لتوجّهات البلاط العباسي، والمعروف بعدائه لآل علي وأنصارهم من أنّه مأخوذ بتهمة العداء للصحابة، وقد خرج توّاً من مناظراته في الدفاع عن أحقّية

(١) الكامل في التاريخ، ٦/٤٣٨. عصر المأمون لأحمد فريد رفاعي: ٣٦٨.

علي عليه السلام في الخلافة وتقديمه على بقية الصحابة، وهو أمرٌ يستحق عليه صاحبه في نظر «الآخر» أن يوصم بتهمة العداء لصحابة النبي صلى الله عليه وآله، وهو سلاح طالما يستخدمه أُولئك المقلِّدة من أجل إفشال أي مشروعٍ إصلاحيٍّ لبيان حقائق تاريخ الأُمـة، وتهمة العداء للصحابة بضاعة جاهزة بخسة الأثمان يسوقها تجّار السياسة وقادة الفتن وأصحاب الأهواء المتناحرة، وكأنّ المأمون قد توجّس من نتائج مـناظرةٍ عقدها مع فقهاء بغداد وأهل العلم منهم في أمر الخلافة، فأراد أن يـبعث بـرسالة طمأنة إلى الخاصة من المقلِّدة وعامّتهم، وهاجس الإصلاح وتوجّسات التـغيير تدور في أذهان أهل الحلّ والعقد، من ساسة العقائد الحاكمة والأهواء السـائدة يومذاك. فقال المأمون لابن أكثم: يا أبا محمد، كَرِه هذا المـجلس الذي جـعلناه للنظر طوائف من الناس، بتعديل أهوائهم وتزكية آرائهم، فطائفة عابوا علينا مـا نقول في تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وظنّوا أنّه لا يجوز تفضيل عـليٍّ عليه السلام إلّا بانتقاص غيره من السلف! والله ما أستجيز أن أنتقص الحـجّاج فكـيف السـلف الطيب؟! وإنّ الرجل ليأتيني بالقطيعة من العود أو بالخشبة أو بالشيء الذي لعـلّ قيمته لا تكون إلّا درهماً أو نحوه، فيقول: إنّ هذا كان للنبي صلى الله عليه وآله، قد وضع يده عليه أو شرب فيه أو مسّه، وما هو عندي بثقة، ولا دليل على صدق الرجل، إلّا أنّي بفرط النية والمحبة أقبل ذلك فأشتريه بألف دينار، أو أقل أو أكثر، ثم أضعه على وجهي وعيني وأتبرّك بالنظر إليه وبمسّه، فأستشفي به عند المرض يصيبني، أو يصيب من أهتمّ به فأصونه كصيانتي لنفسي، وإنّما هو عـود لم يـفعل شـيئاً، ولا فـضيلة له يستوجب المحبّة إلّا ما ذكر من مسِّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف لا أرعى حق أصحابه وحرمة من قد صحبه، وبذل ماله ودمه دونه، وصبر مـعه أيـام الشـدة وأوقـات

العسرة، وعادى العشائر والعمائر والأقارب وفارق الأهل والأولاد، واغترب عن داره ليعزّ الله دينه ويظهر دعوته؟!

يا سبحان الله! والله لو لم يكن هذا في الدين معروفاً لكان في الأخلاق جميلاً! وإنّ من المشركين لَمَن يرعىٰ في دينه من الحرمة ما هو أقلّ من هذا. معاذ الله ممّا نطق به الجاهلون...(١). إلى آخر ما يعتذر به إلى يحيى بن أكثم، وما يسوّغه من دفاعه عن عليٍّ عليه السلام في حقّه وعن مذهبه في تقديمه على غيره، وهو بعد لم تثبت لنا صحة اعتقاده الشيعي أو إيمانه الراسخ، ففي مناورات السياسة ما تخفي الأحداث وراءها مقاصد التناحر ودواعي التنافس، ومقتضيات التصفيات السياسية، وقتل الخصوم، وكان علي بن موسى الرضا عليه السلام بعض من نالته كؤوس حتوف الاحتراب السياسي والتنافس المحموم بحمى تداعيات الأثرة والتهالك على حطام السلطان.

❊ ❊ ❊

لم يسع المأمون إلّا أن يأخذ حذره كما قلنا، فما الذي يفعله غير أن ينقلب على تقليدية آبائه في عدائهم لآل علي، حتى يعمل على تقريب الإمام علي بن موسى الرضا ويتشفّع عند العلويين بتوليته ولاية العهد، فضلاً عمّا سيحدثه المأمون من التلويح لبني أبيه بإخراج الأمر منهم إلى معارضيهم من آل علي، إن لم يحسنوا مع المأمون التصرف ويعملوا معه على إدارة الأمر، والقضاء على تمرّدات العلويين وثوراتهم، أي سيجعل ولاية العهد قوةً ضاغطةً على الوجود العباسي، مهدِّداً إيّاهم على مصادرة مجدهم وهيبتهم، وكسر شوكتهم، أي كانت ولاية العهد للإمام

(١) عصر المأمون: ٣٦٩ لأحمد فريد رفاعي عن تاريخ بغداد.

الرضا عليه السلام من قبل المأمون رسالة مفتوحةً قرأ فيها العباسيون حاضرهم واستشرفوا فيها مستقبلهم، ممّا دعاهم إلى التخلّي عن عزمهم في الإبقاء على إبراهيم بن المهدي بديلاً عن المأمون، ومقابل هذا أن يقصي المأمون الإمام الرضا عن ولاية العهد بتصفيته سمّاً واغتياله، إرضاءً للنزعة العباسية، وتمّت الصفقة الخسيسة بين الطرفين، فشُلّت يد البائع، وتبّت يمين المشتري.

❁ ❁ ❁

حاول المأمون دون جدوى أن يضع الأمر في عنق الإمام، مختبياً خلفَ نوايا عدة، والإمام كان رافضاً له أشدّ الرفض، محبطاً بذلك مشاريع المأمون، وساعياً إلى تحويل ما عزم عليه المأمون من فتح إلى هزيمة، ومن نصر إلى خذلان، ومن نجاح إلى إحباط، فالمأمون أراد أن يدخل اللعبة منتصراً بما يحسنه من تدبير السياسة، والإمام عاجله في إفشال اللعبة بما يملكه من حنكة التبصّر في عواقب الأمور، والمأمون أضعف من أن يجعل الإمام سبباً في تنفيذ مآربه، أو قنطرةً تُوصِله إلى تحقيق مصالحه، والإمام أجلُّ من أن يُصغي للمأمون أو يركن إلى زبرجة وعوده، فالإمام لا يرفعه ما يمنحه المأمون من خلافة مزعومة، وسلبيته حيال عرض المأمون كشف عن تداعيات خلافة بني العباس غير المشروعة، والإمام لا يحول عنه أحد دون الخلافة الشرعية، فهو لم يكن في يومٍ ما محتاجاً إلى عرض المأمون، أو مخذولاً من إزواء الرشيد، فخلافتهم ملك دنيوي، وخلافته نصّ إلهي.

وهذا أمر جدير بالتأمّل والتبصّر بما آلت إليه الأُمور... فعرض الخلافة كان

مدفوعاً من قبل الإمام، محتجّاً على المأمون بأنّ الأمر ليس بيدك، فإن كانت الخلافة لك فلا معنى لمنحها غيرك، وإن كانت لغيرك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك، وكان ذلك جديرٌ بإدانة المأمون وأسلافه في عدم مشروعية خلافتهم، ولنستمع إلى ما دار بين الإمام الرضا وبين المأمون في شأن الخلافة؛ لينبلج الحق لذي عينين....

روى الصدوق بسنده، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أبي الصلت الهروي قال: إنّ المأمون قال للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال الرضا عليه السلام: «**بالعبودية لله عزّ وجلّ أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجلّ**».

فقال له المأمون: فإنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأُبايعك.

فقال له الرضا عليه السلام: **إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.**

فقال له المأمون: يا بن رسول الله، فلابدّ لك من قبول هذا الأمر.

فقال: **لست أفعل ذلك طائعاً أبداً.**

فما زال يجدّ به أياماً حتى يئس من قبوله.

فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تجب مبايعتي لك فكن وليّ عهدي، تكن لك

الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: **والله لقد حدثني أبي، عن آبائه، عن أمير المـؤمنين عليهم السلام، عـن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي أخرج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسُمّ مظلوماً تبكي عليَّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأُدفن في أرض غربة إلى جنب هـارون الرشـيد،** فبكى المأمون!

ثم قال له: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟!

فقال الرضا عليه السلام: **أما إنّي لو أشاء أن أقول لقلت من الذي يقتلني.**

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنّك زاهد في الدنيا.

فقال الرضا عليه السلام: **والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ، وما زهدت في الدنـيا للدنيا، وإنّي لأعلم ما تريد.**

فقال المأمون: وما أُريد؟

قال: الأمان على الصدق.

قال: لك الأمان.

قال: **تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قَبِلَ ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟**

فغضب المأمون ثم قال: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي، فبالله أُقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلّا أجبرتك على ذلك، فـإن فـعلت، وإلّا ضـربتُ عنقَك.

فقال الرضا عليه السلام: **قد نهاني الله أن أُلقي بيدي في التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أنّي لا أُولّي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنّةً، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً.**

فرضي بذلك، وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك[1].

❊ ❊ ❊

لم يثبت النصّ مفخرةً للمأمون، ولم يجعل له مكرمة التنازل عن الخلافة إلى الإمام إلّا لعبةً ماكرةً مكشوفة الأوراق، جليّة الغايات، ولم يستطع أُولئك الذين يذهبون إلى تشيّع المأمون أن يثبتوه وبين أيديهم نصّ الإدانة لتصرف المأمون فيما عزم عليه من قتل الرضا إن هو يرفض فكرة تحويل الخلافة، أو مسألة قبول ولاية العهد، وأي ولاءٍ هذا والمأمون ليس له خيار إلّا خيار القتل فيما إذا تسبّب الإمام الرضا في إحباط مشروع المأمون؟! وأيّ تشيّعٍ هذا والإمام يتعرّض لكراهية القبول في أمرٍ لم يكن هو راضيه، فصار المأموم متبوعاً، وغدا الإمام تابعاً؟! فأيّ تشيّعٍ بعد هذا يبقىٰ للمأمون؟!

نعم، كان المأمون قد استهواه التشيّع كإنسان تحكّمت فيه رغبة الحق كمعرفة مجردة عن كلّ دواعي السلطان، وهواية البحث تأخذ الإنسان إلى مديات الرغبة الصادقة حينما يتخلّى عن نوازع السطوة، بل قد يتأصّل الخير في كوامن الفطرة ليدفع الإنسان لأن يعود إلى إنسانيته كإنسانٍ مجرّدٍ عن كلّ النقائص العارضة على توجّهات الخير، المستوحاة من سلامة الفطرة إذا ما هي نجت من معائب النفس

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ٢: ١٥١.

الهابطة إلى حضيض الأشياء.

كان المأمون ـ كما أشرنا ـ يعاني من عقدة النقص التي تُلقي بظلالها على شخصيته المنعزلة والطموحة كذلك، فالنقص أشعر المأمون بِدُونية الانتساب لأُمّه الفارسية، وكانت مراجل عنواناً كبيراً لمعاناة المأمون التي خلقتها نظرة العباسيين إليه.

والذي نريد قوله: أنّ المأمون شذّ في "عباسيته" الخاصة به، فهو لم يحمل معه «عباسية» الرشيد ولم يتخلَّ منها كما في «عباسية» الناصر.... ولم يختر الوسطية في عباسيته بعد ذلك، فعباسيته لغز محيّر خاض فيه الكثير، فمنهم من أقصاه عن عباسيته وأحاله شيعياً خالصاً، ومنهم من ذهبت به المذاهب دون أن ينتهي بنتيجة معينة، وهكذا تضاربت آراء المحقّقين، وتعارضت رُؤى الباحثين، فلم يحطّوا رحالهم إلى ما تطمئنّ له نفوسهم، أو يتّفقون على رأيٍ يقطعون به شأفة العصبية في الاستنتاج التاريخي، وأي استنتاج لأية قضية تاريخية لا يمكن الوقوف منها موقف المتحيز ما لم يتجرد المؤرخ عن نزعاته العصبية، أو نظرته القبلية، ليلقي عنان الحقيقة إلى حيث تسلكه من وهاد التحقيق إلى مكامن قضايا أخفتها نزعات الرغبة في إثبات ما يستسيغه هو وما تهواه نفسه.

❋ ❋ ❋

ومهما يكن من أمر فإنّ تهمة تصفية الإمام الرضا لن تتخطّى المأمون، أو تتعدّاه إلى ابنَي الفضل، أو تتجاوزه بتآمر الحاشية على قتله، فإنّ سنّة تصفية الخصوم قد عرفت منذ زمان، وسعد بن عبادة أول من ذاق كأس حتوف المعارضة السياسية، وأوعزوا تصفيته إلى الجنّ فقالوا: «قتلت الجنّ سعداً»، ولم نسمع قبل وبعد مصرع

سعد أن تدخّلت الجنّ في تصفية الخصوم، فإنّ جنّ السياسة أفتك وأشد بطشاً.. ولم يُخفِ التاريخ ما ابتكره ابن أبي سفيان في دسّ السمّ بالعسل، فأودى بخصومه إلى حيث شاءت لهم «جنود الله من العسل»، وهو ما استساغه ابن أبي سفيان أن يطلق على مكائده فيوعزها إلى «جنود الله»...

وفي معرض تحليله لشخصية المأمون السياسية ذكر يوسف العشر في تاريخ عصر الخلافة العباسية ما نصّه: (.... وكان إذا فاجأته حادثة أخّر حلّها حتى يستقيم له الرأي فيها. وهو على كلّ حالٍ يحلّ المسائل هادئاً دون أن يكون في الأمر إثارة أو استثارة، ليس فيه عنف ولا قسوة، يرغب في أن يكون حلّاً هادئاً ناعماً لطيفاً[1]، لعلّ الناس في عصره ما كانوا يشعرون بأهمّية الحلّ، ولا يقدّرون قيمته، قد يلجأ في هذا الحلّ إلى السمّ أو إلى قتل الناس، ولعلّه كان يفعل ذلك لصالح الدولة[2]. ولعلّه كان يفضّل الحلول الهادئة هذه على إرسال الجيوش وقتال الناس، وكان بعد أن يوعز بالسمّ ويقتل من يقتل يتبرّأ من هذا الفعل، ويعلن سخطه عليه، بل يحاول أن يخفي تدبيره وراء ترتيب جديد: يُنعم على أهل الشخص المقتول، ويُضفي عطفه على اسم المسموم واسم ذويه...

ولعلّه كان من خطّته أيضاً أن يفتدي نفسه بعليّ الرضا بن موسى، فإنّه ما مضى على وفاة الفضل بن سهل عدد من الأشهر حتى تناول علي الرضا بن موسى كمية

---

(١) من العجيب أن يصف الكاتب حلول الاغتيال بأنّها حلول ناعمة لطيفة، وإلّا فمن القبيح أن تكون المعارضة أو الاختلاف في الرُؤىٰ سبباً للتصفيات الجسدية، بل وحتى الفكرية كذلك.

(٢) وهذا تعليل أعجب، إذ يستحسن الكاتب مثل هذه الحلول اللاأخلاقية ويسوّغها بأنّها لمصلحة الدولة، فأيّ دولةٍ هذه تقوم على تصفيات الخصوم وصراع الإرادات، ثم هي بعد ذلك تسوّقها بأنّها لمصلحة عقلائية؟!

كبيرة من العنب وكان يحبّه فمات[١]. لعلّنا لا نصدّق أنّ إنساناً يموت من أكل العنب إذا لم يكن في العنب ما يؤثر في الحياة كالسمّ مثلاً، أعلن المأمون حزنه على وفاة الرضا، ولم يغيِّر سياسته في الأمر، بل استمرّ على لبس الخضرة[٢].....

وهكذا هي سيرة المأمون، فإنّه ليس بِدعاً من ذوي السياسة وأهل الرئاسة حيث يختمون تحالفاتهم بالاغتيال لمنافسيهم الأقوياء.... فالمأمون فكّر في بيعته علي الرضا، فأعظم أن يرجع عنها، وخاف إذا رجع أن يثور عليه أهل خراسان فيقتلوه، فعمد إلى سياسة الفتك، فدسّ إليه من أطعمه عنباً مسموماً فمات)[٣].

ولم يكن هذا الرأي قد اختصّ به جرجي زيدان حتى وافقه أحمد شلبي بقوله: إنّ ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلّص من الرضا...[٤].

وليس المحدّثون قد انفردوا في هذا الرأي، فإنّ أبي الفرج الإصفهاني ذكر في مقاتل الطالبيين ما يؤكّد ذلك، فقال: (وكان المأمون عقد له على العهد من بعده ـأي الرضا ـ ثم دسّ إليه بعد ذلك سمّاً فمات)[٥].

ولم ينكر ابن الطقطقي في آدابه السلطانية ما ارتكبه المأمون من قتل الإمام الرضا عليه السلام، وألمح إلى أنّه كان في قتله للرضا استرضاء لبني العباس، وأنّ في موته

---

(١) هذا ما حاوله بعضهم أن يشوِّهوا الحقائق ويدّعوا أنّ الإمام الرضا عليه السلام قد مات من تناول كمية كبيرة من العنب؛ ليحاولوا أن يبعدوا شبهة قتل المأمون له، ولم نعهد من قبل أنّ أحداً مات من كثرة أكل العنب، بل ثبت علمياً بأنّ العنب من المواد التي يتقبّلها الجسم دون أية مضاعفات صحية، كثر ذلك أو قل، إلّا أنّ المؤرّخين يشاركون الحاكم في جريمة قتل الخصوم بتبريرات يفتعلونها لا تطرأ على بال حتى منفِّذ الجريمة نفسه.

(٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية، ليوسف العشر: ٩٠ وما بعدها.

(٣) تاريخ التمدّن الإسلامي ٤: ٤٤.

(٤) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٣: ١٠٧.

(٥) مقاتل الطالبيّين: ٤٥٤.

ذهاباً لخوفهم وتوجّسهم ممّا ستؤول إليه ولاية عهد الرضا بزعمهم، فقال في معرض تأريخه للمأمون: (ثم دس إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام سمّاً في عنب فمات من ساعته، ثم كتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم: إنّ الذي أنكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال، وإن الرجل مات، فأجابوه أغلظ جواب)[١].

وحسبنا جواب عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن عليّ علىٰ رسالة بعث بها المأمون إليه، حيث توارىٰ عنه، فأرسل إليه أماناً وأوعده بولاية العهد، فقال عبدالله في معرض جوابه إليه:

وصل كتابك وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال عليَّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي، وعجبت من ذلك العهد وولايته لي بعدك، كأنّك تظنّ أنّه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أيّ شيء ظننت أنّي أرغب من ذلك؟! أفي الملك الذي قد غرّتك نضرته وحلاوته، فوالله لئن أُقذف ـ وأنا حيّ ـ في نارٍ تتأجّج أحبّ إليّ من أن ألي أمراً بين المسلمين، أو أشرب شربةً من غير حِلِّها مع عطش شديد قاتل.. أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا؟![٢].

وفي خبرٍ آخر:

فبأيِّ شيءٍ تغرّني؟ ما فعلته بأبي الحسن ـ صلوات الله عليه ـ بالعنب الذي أطعمته إيّاه فقتلته[٣].

وأحسب أنّ هذه الرسالة من شأنها قطع عادية اللجاج في أمر شهادة الرضا

---

(١) الآداب السلطانية.
(٢) مقاتل الطالبيّين: ٥٠٠.
(٣) المصدرالسابق: ٤٩٩.

على يد المأمون. فعبدالله بن موسى هذا قريب عهدٍ على حادث الاغتيال، وهو مترصِّد لسلوك المأمون ومذهبه في تصفية الخصوم، ودم الرضا من ذحول الهاشميين المعارضين لسياسة العباسيين، الذين ما فتأوا يتخلّصون من آل عليٍّ بمثل هذه الغِيَل وتلك الدسائس سبب في غَلَيان الهاشميين بالثورة، انتقاماً ممّا أقدم عليه المأمون في التمادي بقتل الإمام...

ولأبي فراس الحمدانيّ موقف من العباسيين يحاججهم بسوءاتهم، وأشهرها اغتيال الرضا وتصفيته بسم المأمون، ففي رائعته الميمية يذكر بها أمر الاغتيال بقوله:

ليس الرشيدُ كموسى في القياس ولا
مأمونُكم كالرضا إن أنصفَ الحكمُ

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته
وأبصروا بعض يومٍ رُشدهم وعُمُوا

ولم تقف التهمة في حدود الاغتيال المروِّع، بل عمد المأمون أن ينفي تهمة كهذه عن نفسه، فأرسل إلى ابن الرضا وخليفته «محمد عليه السلام»، فكان من أمره ما يتكفّله بحثنا هذا...

الوليد المبارك

كانت تلك الليلة مليئةً بالمفاجئات للسيّدة حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، حين أبلغها الرضا بأنّ الخيزران أصابها الطلق، وعليها أن تحضرها لتليها أمرها... كانت حكيمة وجلةً من تلك الليلة، فهي تستشعر خوفاً مصحوباً

بأمل الحدث الجديد، وتتوجّس ممّا تخفيه هذه الليلة من تلك المفاجئات.. فحكيمة قلقة الآن ممّا ستتلقاه من بشارة المولود الذي طال انتظاره وأخيها وقد بلغ الخامسة والأربعين.. وتحديات الآخرين تتصاعد وَتائِرُها لتُشكّك في إمامته، بدعوى أنّ الإمام لابدّ أن يلي أمره إمام مثله، ولم يحن لأخيها الذي يواجه تشكيكات الخصوم أن يولد خليفته الموعود... فربما ستلد الخيزران غير ما ينتظره المنتظرون من شيعة الإمام، الذين بدورهم يواجهون تحدّيات الخصوّم، ولجاجة المشكّكين، وشماتة الحاقدين، وخوض الخائضين في إمامة علي خليفة أبيه موسى.

وما الذي يفعله أُولئك الواقفة على إمامة موسى غير مواجهة الرضا وشيعته بالاستدلال على صحة مزاعمهم، من كون الأمر قد وقف على موسى بن جعفر الذي لم يخلف إماماً بعده.

هذه الهواجس تتزاحم في ذهن حكيمة، التي ما فتأت تراقب الموقف بحذرٍ عندما أخذ خيزران الطلق وأُطفئ المصباح... ارتاعت حكيمة من هول اللحظات الحاسمة، حتى واجَه حكيمةَ شيءٌ يتجلّى أمامهما، عليه شيء رقيق كهيئة الثوب، ونور يسطع من ذلك الوليد حتى أضاء البيت..... لم تتمالَك حكيمة نفسها، حتى وثبت للوليد تأخذه برفق مصحوب برعدة اللحظات المهيبة، وهي تتناول ذلك الموعود إنّه «محمد»..

سبحانك اللهم وبحمدك، كلّ شيء عجيب في ولادة هذا الحبيب القادم من ثنايا الانتظار الأليم، الذي أذاق «أبا محمد» والده الإمام صنوف الاعتراض وغصص الشامتين الذين يأملون إحباط خلافة الله بكلّ ما لديهم من حولٍ وقوة، ﴿وَيَأْبَى

اللّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١].. تُتَمتم حكيمة بهذه الهواجس وتلهج بالوليد الجديد... إنّه «محمد» يا أبا محمد...

وقد ناولته حكيمة بعد أن فتح الرضا باب الغرفة ليضعه في مهده؛ ليقول لها: «ياحكيمة الزمي مهده». لم تبارح حكيمة مهد محمدٍ حتى رأت في يومه الثالث ما لم تره في غيره... تُحدِّق حكيمة في الوليد الجديد الذي يرمق السماء ببصره؛ لينظر يميناً وشمالاً **فيتمتم بكلمات الوحدانية... نعم، تسمع حكيمة** صوت الوليد في يومه الثالث: «**أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله...**» لم تتمالك حكمية نفسها بعد أن أخذتها رعدة لا تحملها رجلاها المرتجفتان لتقوم بمشقّة كبيرة فتُخبر الإمام بأنّها رأت عجباً وسمعت عجباً..

أبا محمد، وليدك الميمون ما فتأت أُبارحه حتى يريني ما أعجب منه، إنّه يتشهّد، وتحكي له كلّ ما تراه بنبرات مرتجفة.. كان الإمام يدرك أنّها مفاجئة لحكيمة ولغيرها في كلّ ما تراه من ولده الميمون، فيقول: «يا حكيمة، ما ترون من عجائبه أكثر».

❊ ❊ ❊

ويكبر «محمد» لتكبر فيه عناية أبيه الذي يتطلّع إليه بشغف مصحوب بعناية والده الإمام.. فهو الآن «أبو جعفر»، يخاطبه الإمام بكنيته تعظيماً له، وتوقيراً لمقامه المقدّس.. إنّه أبو جعفر... وهو المولود المبارك يا يحيى..

ولم يكتم يحيى الصنعاني تساؤلاته عن المولود الجديد، فيبادر الإمام متسائلاً: جعلت فداك، هو المولود المبارك؟ فيجيبه الإمام: «نعم يا يحيى، هذا

---

(١) التوبة: ٣٢.

المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركةً على شيعتنا منه»[١].

ولم يجد الإمام الرضا بدّاً من التنويه بمنزلة أبي جعفر عليه السلام، **فهو لحمة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو روحه، بل هو بعضه، فقوله لابن نافع حين دخل عليه:** «يا ابن نافع، سلِّم وأذعن له بالطاعة، فروحه روحي، وروحي روح رسول الله»[٢].

كان ابن نافع يدور في خلده منزلة أبي جعفر كيف هي؟ ولكنّه لم يتيقّن أنّه خليفة أبيه، حتى ذكر الإمام أنّ ولده هو روح رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولا يعني قول الإمام إلّا إشارة إلى نسب ولده، وأنّه ينتمي إلى رسول الله، فليس عند ابن نافع شك في ذلك، ولم يخفَ على أحدٍ ولا على ابن نافع ذلك، بل أراد الإمام أن ينوِّه عن وراثة أبي جعفر له، ومن ثم وراثته لرسول الله، فهو روحه يا ابن نافع... وليس بعد ذلك تفصيل...

كان أبو جعفر يتلقّى الرسائل من أبيه «المبعد» إلى خراسان.. وكان الوالد يراقب عن كثب أحوال أبي جعفر، فكانت بينهما مراسلات تفصح عن جلالة «محمد» بالرغم من صغر سِنِّه، وكان الرضا يُتحِف ولده بأنواع التبجيل، وفوق ذاك فقد كان يفديه.. فأيّ منزلةٍ هي إذن؟ وأيّ كرامةٍ تُحيط بالمذخور لوراثة الإمامة؟!

كان الجواد عليه السلام يقرأ في ثنايا رسائل والده عطفاً مشوباً بشوق البعد وعناء الفراق... وكان يتطلّع برسائل والده فيقرأ فيها عنايةً تنطوي فيها حرارة الشوق مع قداسة التعظيم، وهو أمر لا يقف عند حدود المراسلات، أو يندرج في شؤون المخاطبات، أو يرتسم في ملاكات التشريف بقدر ما هو تنويه على أمرٍ خطير،

---

(١) فروع الكافي: ٣٦١/٦، باب الموز.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٣٨٨/٤.

ومكانة جسيمة لا تكشفها إلّا مخاطبات الإمام لأبي جعفر حين يكتب له: بسم الله الرحمٰن الرحيم، أبقاك الله طويلاً، وأعاذ من عدوّك يا ولد، فداك أبوك..

وفي نفس الرسالة يخاطبه: وقد أوسع الله عليك كثيراً، يا بني فداك أبوك..

وفي قوله: «أبو جعفر وصيّي وخليفتي في أهلي من بعدى...» ينكشف سرّ مكانة أبي جعفر، وخطر منزلته عند أبيه... فهو وصيّه وخليفته.

❊ ❊ ❊

كان الرضا ملازماً لمهد «محمد» عدّة ليالٍ.. لا يفارقه، وهو أمر أثار استغراب أحدهم، وسأل الرضا عليه السلام عن سبب ذلك؟ وهل ملازمته لمهد الوليد تعويذاً له من عين الحاسدين؟..

أجل، لم يدرك المتسائل سرّ هذه الملازمة، وظنّه أنّها ملازمة الوالد لوليده الوحيد الذي يخشى عليه كيد الحاسدين.... ولم يتبيّن لهذا السائل أنّه أمر عظيم يكتنف هذه الملازمة ليالي عدة..

إنّه أمر أعظم من أن يدركه هذا وغيره، فيكتفي الإمام عليه السلام بأنّ ذلك من أسرار الوراثة وخصائص الإمامة... إنّه العلم يا هذا،.. **وأيّ علم هو يتلقّاه أبو جعفر في مهده؟** ولم يزد الإمام على أكثر من قوله: **«ويحك! ليس هذا عوذة، إنّما أغرّه بالعلم غرّاً»**(١).

وهكذا يكبر أبو جعفر، ويكبر معه علمه ورعاية الوالد الحبيب... وأيّ لحظاتٍ هي، وأبو جعفر يراقب والده وقد ودّع البيت وداع من لا يرجع بعد سفره هذا؟...

---

(١) الإمام محمد الجواد سيرة وتاريخ، عدنان الحسيني: ١٦.

ولم يرتضِ أبو جعفر أن تمرّ هذه اللحظات العصيبة إلّا ليعبّر عن ألمه واستيائه لما سيفعل بوالده المعظّم.. وهل يخفى على أبي جعفر ما تنطوي عليه الأيام الزاخرة بالمفاجئات؟ وهل فات أبو جعفر الصبيّ الرباعيّ أو الخماسيّ أن لا يدرك ما هو فيه أبوه؟ وهل خفي على الرضا ما تُكِنّه نفس أبي جعفر وتنطوي عليه من معرفة المستقبل بتفاصيله؟!

ولم يستغرب الرضا ما بدا على أبي جعفر ولده من قلق وهمّ وحزن عبّر عنه بلزومه الحجر، ولم يبارحه حتى جاء والده فاستجاب إليه، وبقي موفّق الخادم متعجّباً ممّا يراه من هذا الصبي الحزين على فراق والده!

وأيّ صبيٍّ في الرابعة يدرك ما تجري الأحداث والوقائع ممّا يجعل موفّقاً الخادم متحيّراً لإدراك أبي جعفر خطورة الأمر التي ستؤول إلى تصفية الإمام؟ ولم يَحِر الخادم موفّق فعل شيء وهو يرى الصبي «محمداً» لم يبرح الحجر...

فهذا أُمية بن علي القيسي[1] الشامي يحكي لنا مشاهداته عن سلوك الصبيّ الذي يرافق والده عند طوافه، قال:

كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكّة في السنة التي حجّ فيها، ثم صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر، وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت، فلمّا قضى طوافه عدل إلى المقام فصلّى عنده، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس فيه فأطال، فقال له موفّق: قم جعلت فداك، فقال: **«ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا إلّا أن يشاء الله»**، واستبان في وجهه الغمّ، فأتى موفّقٌ أبا الحسن عليه السلام فقال له: جعلت فداك، قد جلس أبو جعفر في

(١) معجم رجال الحديث: ٤/١٤٤، ت ١٥٤٨، وفيه في نسخة: (القَبَسي).

الحجر، وهو يأبى أن يقوم، فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر فقال: «قم يا حبيبي» فقال عليه السلام: **«ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا»**، قال عليه السلام: **«بلى يا حبيبي»** ثم قال عليه السلام: **«كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه؟»**، فقال له عليه السلام: **«قم يا حبيبي»** فقام معه[١].

ولم يُدرك الباقون نعي «محمدٍ» لوالده الإمام.. فلعلّ في نفوس هؤلاء تكمن حيرة الموقف، وهيبة التأبين، وقداسة النعي المستوحى من الغيب...

إنّه الغيب يا سادة... وأنتم تستشعرون أمراً لم تُدركوه بعد.. فما يجري بين الإمام وبين ولده نفثات علمٍ مخزونٍ في صدر الصبيّ المفجوع بفراق والده... وحشاشته الحرَّى تتأجّج حزناً لما انتهىٰ إليه من علمٍ بفراق والده الإمام... ولعلّكم ظننتم إنّه لَهُوَ الصبيّ الذي لم يُبارح المكان إلّا بأمر والده.. وأنتم لم تدركوا أنّه أبو جعفر الإمام القادم، والتي ستنتهي إليه مقاليد خلافة الله...

أبو جعفر الإمام.. الإمامة المبكِّرة..

ولم يلبث الإمام الرضا في خراسان حتى تمت المؤامرة... إنها مؤامرات اللعب السياسية التي زاولها المأمون.. ولم يكن من أمر غير إنهاء المرحلة الحرجة من الحياة السياسية للعباسيين.. وتنافسات الأطراف المتنازعة تؤجج لظى التسابق السياسي الذي ينتهي بشهادة الرضا مسموماً سنة (٢٠٣) للهجرة في صفر من ذلك العام.

ويصل خبر نعي الإمام الرضا عليه السلام إلى المدينة، وأبو جعفر يومها في السابعة من

---

(١) كشف الغمة: ٢/ ٨٧٤.

العمر... كان الموقف مضطرباً.. فالتجربة الجديدة في تولّي الإمامة المبكّرة أمرٌ لم يألفه الناس، وحتى شيعة الإمام فإنّهم لم يألفوا إمامة الصبيّ وهو في السابعة، فأخذوا يتجاذبون الحديث عن صلاحية الإمامة لهذه السِنّ المبكرة.. إنّها محنة التسليم لأمر الله تعالى حين يأتي وليّه الحكم وهو صبيّ... وإذا غابت مسوّغات لإمامة المبكرة فإنّ القرآن لم يغِبْ عن أذهان الناس حين يذكّرهم بالصبيّين اللذَين آتاهما الله الحكم والكتاب ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1] وكان يحيى معجزة احتجّ بها الله على عباده...

ولم تكن مرحلة يحيى وحدها معجزة، فإنّ في عيسى تتكرّر معجزة النبوة المبكّرة، ولا تزال التجربة تختبر الناس في تسليمهم لأمره تعالى... كانت نبوة عيسى امتحاناً عسيراً لأُولئك الذين يتساءلون عن أمر الصبيّ عيسى كيف يكون نبياً؟ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[2].

وذلك محمد بن علي الذي فيه يمترون، بل فيه يضطربون.. وفيه يخوضون.. ولم يكن الرضا قد غاب عنه ما توجّس منه أصحابه في صغر سِنِّ ولده الخليفة والإمام القادم... هي تجربتهم الأُولى في الإمامة المبكّرة..

(١) مريم: ١٢.

(٢) مريم: ٢٩ ـ ٣٤.

كان أصحاب الرضا يتساءلون عن أمر ذلك.. وكان الخيرانيّ يروي عن أبيه هذا الموقف الذي يبيّن تصورات شيعة الإمام ومواليه، قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: يا سيدي، إن كان كون فإلىٰ من؟ قال: «إلى أبي جعفر ابني» فكأنّ القائل استصغر سنّ أبي جعفر عليه السلام، فقال: أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً، صاحب شريعةٍ مبتدأةٍ في أصغر من السِنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام»[1].

وفي رواية صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب لك الله أبا جعفر؟ فكنت تقول: «يهب الله لي غلاماً»، فقد وهبه الله لك، وقرَّ عيوننا به، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى مَن؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه، فقلت له: جعلت فداك، وهذا ابن ثلاث سنين؟ قال: «وما يضرّ من ذلك! قد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين»[2].

وروى الكشّي في رجاله بإسناده، عن أبي الحسين بن موسى بن جعفر قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام بالمدينة وعنده عليّ بن جعفر، وأعرابي من أهل المدينة جالس، فقال لي الأعرابي: مَن هذا الفتى؟ وأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام، قلت: هذا وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا سبحان الله! رسول الله قد مات منذ مئتي سنة وكذا وكذا سنة، وهذا حدث كيف يكون؟![3]

هكذا يضطرب الناس في إمامة أبي جعفر السُباعيّ، فهي تجربتهم الجديدة في المعرفة، والتسليم لإمامة مبكّرة شاء الله أن يجعلها وراثة آبائه المعصومين... وهذا

(١) أُصول الكافي: ١/٣٢٢، ح١٣.
(٢) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ٢٦١.
(٣) رجال الكشّي: نقله عنه معجم رجال الخوئي: ٢/٣١٦، ضمن/٧٩٧٩.

علي بن جعفر عمّ أبيه يمر بتجربة الإمامة المبكرة ليتصاغر لأمر الله ويذعن لإرادته في أوليائه المكرّمين....

كان عليّ بن جعفر قد ناهز الثمانين عاماً، وهو عمّ أبيه -أي عمّ الرضا- قد عرف منزلة أبي جعفر، وأدرك أنّ الإمامة ليست بالسِنّ والشيخوخة وغيرها... إنّما هو أمر إلهي... سرّ إلهي.. مكنون من مكنونات الغيب، لا يحلّ غوامضه إلّا التسليم لأمره تعالى.. وهكذا فعل علي بن جعفر... فقد أصاب هذا الشيخ في فعله لأبي جعفر وفي تسليمه لأمر الله... كان عليّ بن جعفر نموذجاً رائعاً من نماذج الطاعة والتسليم لأمر لا يعرف منه إلّا أنّه «أمر الله»...

روى محمد بن الحسن بن عمّار قال: كنت عند علي بن جعفر الصادق جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه -يعني أبا الحسن موسى الكاظم عليه السلام- إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوثب علي بن جعفر رحمه الله بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يده وعظّمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «**يا عمّ، اجلس رحمك الله**»، فقال: يا سيدي، كيف أجلس وأنت قائم؟.

فلمّا رجع عليّ بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه ويقولون: أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: اسكتوا، إذا كان الله عزّ وجلّ -وقبض على لحيته- لم يؤهِّل هذه الشيبة، وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله ممّا تقولون، بل أنا له عبد[1].

هكذا كان عليّ عمّ أبيه... الشيخ المحدِّث.. الفقيه... شيخ الهاشميّين سنّاً.. لازم

---

(١) الكافي: ١/٣٢٢، ح١٢.

جعفر الإمام والده.. وموسى الإمام أخاه.. وعليّ الإمام ابن أخيه... روى عنهم وسمع أحاديثهم.. وتفقّه بفقههم حتى صار عليّ الفقيه والمحدِّث ونقيب العلويّين في وقته.. هو اليوم يخضع لإمامة ابن أخيه الصبيّ السُباعيّ... ولا يرى شيخ الهاشميين ونقيبهم ضيراً أن يتصاغر للإمام أبي جعفر، وأن يعظِّم مقامه، ويراعي حقّه... فقد تربّى في كنف ثلاثة أئمّة... فعليه اليوم أن يظهر ما تأدّب عليه من التسليم والطاعة والاتّباع لإمام وقته.. خليفة أبيه.. بل خليفة رسول الله ﷺ.. وكان الناس يوبّخون الشيخ على توقيره لهذا الصبيّ السُباعيّ.. إنّهم لا يدركون إلّا أنّه الصبي «محمد».. وعلي لا يدرك عن محمدٍ إلاّ أنّه الإمام... الحجة.. خليفة أبيه... بل خليفة رسول الله ﷺ.

محمد بن عليّ .. وصيّ آبائه

كانت إمامة أبي جعفر تعنىٰ برعاية آبائه.. وعناية أسلافه المعصومين.. إنّها وصاية تتعدّى تقليدية الأعراف الأُسرية في الحفيد القادم... وكان «محمد» أملَ من سبقه ليقوم بالأمر.. فلعلّ «محمداً» الصبيّ سيعاني صخب المشكِّكين وضجيج المعترضين في الإمامة المبكّرة.. التجربة الأُولى... والعملية الجديدة في الإعجاز الإلهي تتعدّى حسابات أُولئك الذين تتزعزع في نفوسهم إرادة التسليم للغيب، والإذعان للمعجزة...

كانت بوادر الإمامة القادمة من ثنايا الغيب تحمل أسرار التحدّي للوارثة الملوكية في بني العباس... وفي بني أُميّة من قبل... فالوراثتان الأُموية والعباسية ترتسم فيهما ملامح كسروية في الطاعة وقيصرية في التسليم.. فكسرى يرث

كسرى، وقيصر محلّ قيصر، والجميع يغضّ الطرف عن صلاحية المورّث وأهلية الوريث.. إنّها تقليدية الملك، وأعراف السلطنة في أُولئك القياصرة والأكاسرة.. وفي هؤلاء الأُمويين والعباسيين.. فالجميع تجمعهم الوراثة الدنيوية، وليست هي وراثة إلٰهية كما يزعمون.. إذن إمامة «محمد» ستكون تحدّياً لبني العباس، وإبطالاً لأُكذوبتهم في وراثة رسول الله...

والأمر مختلف الآن.. «فمحمد» الإمام يحظى برعاية خاصة.. و«محمد» الآن يحفل بتراث نبوي ومعصومي يفوق تصورات أُولئك المشاغبين، والمعطِّلين لإرادة الله في عباده.. أُكذوبة المدّعين تفتضح اليوم، فأبو جعفر الإمام.. السُباعيّ من العمر يتحدّى عراقيل السياسة وطيش المغامرين في السلطة، وأبو جعفر ينتظر تحدّيات أُولئك العابثين الذين يحاولون عبثاً أن يُحبِطوا مشروع أبي جعفر في الإمامة المبكّرة.. مشروع آبائه.. مشروع النبيّ.. بل المشروع الإلٰهي بعد هذا وذاك..

بشارة النبيّ صلى الله عليه وآله

كان النبي يتطلّع ما وراء الغيب.. يترنّم بكلمات لم يدركها أُولئك النفر الذين يحيطون به صلى الله عليه وآله، إلّا أنّهم يستمعون إلى مناجاة تسمو في روعتها تراتيل النبوة في سفر الغيب المكنون... إنّهم لا يدركون شيئاً إلّا أنّها متعة الاستماع لكلمات يضوع شذاها فمه الطاهر... فالنبي الآن يستذكر حفيده السابع.. يفدِّيه بأبيه، ويذكر أنّ أُمّه هي خِيرة الإماء المنتجبة، يستمعون إليه وهو يقول: «بأبي ابن خِيرة الإماء، ابن

النوبية الطيّبة الفم، المنتجبة الرحم»[١].

ولم يُخفِ النبي ﷺ عن جابر بن عبدالله الأنصاري أسماء أوصيائه وخلفائه من بعده.. فجابر يحبوه النبي بكرامة البشارة، إنّه يحمّله أمانة التبليغ، وجابر قَمِين أن يؤدّي الأمانة كما ائتمنه النبي ﷺ، كيف لا وجابر يتشوّق إلى حديث الغيب؟ وأيّ رجلٍ لا يفخر بهذه المهمة؟! فحقيق بجابر أن يفخر وهو يتحدّث في مجلسه الذي يضمّ شيوخ الرواية، كجابر بن يزيد الجعفي وأمثاله، فقد سمع من جابر الأنصاري يقول: قال لي رسول الله ﷺ:

«يا جابر، إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أوّلهم عليّ، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم عليّ بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم القائم اسمه اسمي، وكنيته كنيتي محمد بن الحسن بن علي...»[٢].

ولم يقتصر الأمر على ذكر وصايته ﷺ لحفيده الإمام القادم محمد بل كانت خلقته النورية كآبائه الطاهرين موضع اهتمامه، وهي دلالة عظمته، وعلوُّ قدره، وكمال منزلته، فهو كآبائه شرفاً، ومرتبة، ومقاماً..

كان ﷺ ينقل مشاهداته عند عروجه إلى الملكوت الأعلى، يروي نِعَمَ الله تعالى عليه وعلى ذرّيته، خلفائه من بعده، وأوصيائه على أُمته.. فلعلّ حديثه ذاع

(١) أُصول الكافي: ١/٣٢٣، ضمن ح ١٤.
(٢) كشف الغمّة للأربلي: ٢/١٠٠٦.

واستطار في آفاق الدنيا، كَسَرَيانه في آفاق النفس المتلهّفة لمعرفة المجهول، كان يحدِّث أصحابه صلى الله عليه وآله فيقول:

«ليلة أُسرِيَ بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ وعلا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾[1]، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يامحمد، من خلّفتَ في اُمّتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم ياربِّ قال: يا محمد، إنّي اطّلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتُكَ منها، فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أُذكر في موضع إلّا ذُكرتَ معي، فأنا المحمود وأنت محمد. ثم اطّلعت الثانية فاخترت علياً وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو عليّ. يامحمد، إنّي خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نورٍ من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد، لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع، أو يصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم، يا محمد، أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربِّ.

فقال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفتّ فإذا أنا بعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعليّ بن محمد، والحسن بن عليّ، والمهدي، في ضحضاح من نورٍ قياماً يصلّون

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٨.

وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنّه كوكب دري.

قال: يا محمد، هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجّة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي»(١).

هكذا كان محمد النبي يبشِّر بمحمدٍ الوصيّ.. كان الجدّ يقرأ الحفيد على أنّه ملحمة الكرامة النبوية، وعطاء الرَّبّ الذي لا ينضب.

وموسى يبشِّر أيضاً

كان موسى بن جعفر قد ورث غيب آبائه في قراءة المحنة.. إنّها محنة القدّيس، وقد غيبته طوامير السياسة في سجونها الحالكة، ومهمّة موسى الآن في صدٍّ عادية أُولئك المنكرين لإمامة ولده «علي» وحفيده «محمد» والآخرين من عترته المعصومين..

أجل؛ (المنكرين القادمين) قريباً على ظهر الأهواء، والمُمتطين صهوة الطمع وحبّ المال الواقفة... خطر يهدّد جهود النبي الذي بشّر باثني عشر نقيباً من أئمة الهدى، هم اليوم تواجههم دعوة الواقفة الذين وقفوا على إمامة موسى دون ولده الآخرين...

وموسى يقرأ غيب الأحداث، فهذا أبو حمزة البطائني وأمثاله يطمعون في حفنة مال مودّعة لديهم، فيخافون محاسبة القادم بعد موسى ليطالبهم بالمال، فأنكروا إمامته وألّبُوا عليه، ولعل «علياً عليه السلام» سيهب هذه الأموال المودّعة إذا ما علم أنّ أصحابها بحاجة إليها، لكنّه الطمع وحبّ المال أهوى بهم إلى مزالق النُكران

(١) فرائد السمطين: ٢/٣١٩.

ومهاوي الجحود.

ولم يألُ موسى بن جعفر جهداً في بذل جهود الوصية لولده وولد ولده، فهذا «علي بن موسى» يحظى بالعشرات من وصايا أبيه يحتج بها «علي» على منكري إمامته، وهذا «محمد» ولده مثله؛ فزحف دعوة الواقفة ومثلهم من أهل الأهواء ستصل إليه، ولا يهمّ «محمداً» الحفيد؛ بعد ما سمع الناس من فم موسى الإمام ووعوه وسلّم له بعضهم وجحده آخرون.. ولا يضرّ «محمد» جحد الجاحدين من شراذمة الواقفة وقطّاع الطرق من أهل الأهواء المنحرفة.

بعد ما يقرأ أصحابه وصية جدّه لأحدهم كان محمد بن سنان يستمع لوصية الإمام موسى بن جعفر في ولده وحفيده القادمين في زحمة الأهواء الهائجة، قال محمد بن سنان: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة، وعليّ ابنه جالس بين يديه، فنظر إليَّ وقال: يا محمد، ستكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك، قال: قلت وما يكون جعلني الله فداك فقد أقلقتني؟

قال: أصير إلى هذا الطاغية، أما إنّه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده. قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك؟ قال: **﴿يُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾**[1]، قال: قلت: وما ذلك جعلني الله فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقّه وجحده إمامته من بعدي كان كمن ظلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحده حقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: قلت: واللهِ لئن مدّ الله لي في العمر لأُسلِّمن له حقّه، ولأقرّنّ بإمامته وإمامة من يكون بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال: ابنه محمد، قال: قلت: له الرضا

(١) إبراهيم: ٢٧.

والتسليم(١).

الإمام الرضا في مواجهة العاصفة

وتنبعث زوبعة التشكيك في إمكانية ولادة الإمام الرضا عليه السلام لولده «محمد»، فالرضا عليه السلام يتجاوز الأربعين من عمره ولم ينجب ولداً يرثه بعد، وكلّما تقدم العمر بالإمام تقدّمت أمامه تحدّيات الخصوم، ومواجهات المشكّكين، أُولئك الواقفة أو الذين تأخذهم مدعيات الواقفة لإثبات دعاواهم في الوقوف على موسى بن جعفر، وتتصاعد وتيرة الاعتراض في أنّ علياً لم يلد ولداً، فكيف يكون إماماً يدعو إلى ولده الأربعة من سلالته ليكونوا أئمة؟!

كان الإمام الرضا يبشِّر لولده القادم محمد، وبكلّ اطمئنان كان يتلّقى اعتراض هؤلاء وتشكيك أُولئك، إنّها مرحلة الاختبار للثبات على إمامته، فتأخير ولادة «محمد» كانت لها مصالحها المسوّغة، فالمحنة هي محنة الاختبار، وعلى أُولئك المدّعين أن يثبتوا أمام هذه العاصفة التي تهبّ من أطراف عدة، ولا داعي للحيرة في مَن يرث الإمام، إذا كان الأمر يخضع للتسليم والرضا للرضا من آل محمد فما معنى الحيرة والتردّد إذن؟ وإذا كانت مرحلة الحسم تعني مرحلة التصفية للإذعان والتسليم فإنّ موجبات تأخير ولادة «محمد» الموعودة معقولة إذن، بل ضرورية جداً لقطع دابر النفاق والتردّد، وستكون مسألة الثبات على إمامة الرضا هي ثبات الخاصة على ولايته بعد ذلك، بل موت الرضا بعد ولادة محمدٍ بخمسٍ أو ستِّ سنواتٍ مرحلة للامتحان كذلك، فالتسليم للإمامة المبكّرة جولة أُخرى من ذلك

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤ ـ ٢٥، والبحار: ٥٠/١٩، ح ٤.

الاختبار العسير.

كان (ابن قياما) تحدّياً جدّياً للرضا، فهو يشكِّك في إمامته عن طريق التساؤل عن الوريث الذي لم يولد بعد، فكيف يكون إماماً ولم يولد له ولد؟ هـذا مـنطق التحدّي، وتلك هي تداعيات العاصفة من التشكيك.

كتب (ابن قياما) إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه:

كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟

فأجابه أبو الحسن عليه السلام: «**وما علمك أن لا يكون لي ولد؟ واللهِ لا تنقضي الأيـام والليالي حتى يرزقني الله ولداً يُفرِّق بين الحقّ والباطل**»[(١)].

قال أحمد بن محمد بن أبي نصر: قال ابن النجاشي: مَن الإمام بعد صاحبكم؟

فدخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأخبرته، فقال: «**الإمام بعدي ابني**»، ثم قال: هل يجرأ أحد أن يقول: ابني وليس له ولد؟![(٢)]

ولم يكتفِ ابن قياما بكتاب التحدّي المبعوث للرضا في نكران إمامته؛ لعـدم ولادة من يرثه حتى يسأله بعد ما لقيه: هكذا تخلو الأرض من أن يكون فيها إمام؟

فقال الرضا: «**لا**».

قال: فيكون فيها اثنان؟

قال: «**لا، إلّا وأحدهما صامت لا يتكلّم**».

قال: قد علمت أنّك لست بإمام.

قال: «**ومن أين علمت؟**»

---

(١) كشف الغمّة للأربلي: ٢/٨٦٥.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٨.

قال: إنّه ليس لك ولد، وإنّما هي في العقب.

فقال له: «**فوالله لا تمضي الأيام والليالي حتى يولد لي ذكر من صلبي يقوم مثل مقامي، يحقّ الحقّ ويمحق الباطل**»[١].

ويسأله آخر: أتكون الإمامة في عمٍّ أو خال؟

فقال الرضا: «**لا**».

فقال: في أخٍ؟

قال: «**لا**».

قال (أي السائل): ففي من؟

قال: «**في ولدي**» وهو يومئذٍ لا ولد له[٢].

وهكذا يواجه الرضا تحدّيات أُولئك المشكّكين، وتساؤلات المتحيِّرين، وهو يجيبهم بكل اطمئنان: أنّه سيولد لي ولد يكون حجّة الله على خلقه، وقد ولد محمد، وصدقت نبوءة الرضا وآبائه من قبل.

الأحداث الحاسمة

وفي صفر سنة (٢٠٣هـ) كان الأجل موعده مع الإمام الرضا عليه السلام بعد تصفية المأمون له، فرحل راضياً مرضيّاً، وكان «محمد» الثماني تنتظره وراثة أبيه في الإمامة، فهو وحيده الذي تشخص إليه الأبصار، وترمقه أنظار العامة والخاصة، فمحمد اليوم يتصدّى لمهمّة السماء.. وحداثة سنّه تثير تساؤلات هؤلاء وتحفظّات

---

(١) البحار: ٣٤/٥٠، ح ١٩. عن رجال الكشي: ص٥٩٦/١٠٤٤

(٢) البحار: ٣٥/٥٠، ح ٢١.

أُولئك... إنّها محنة التسليم كذلك لإمامة مبكِّرة تستشعر معها محنة يـحيى الذي شهد له القرآن: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1]، ونوّه عن عيسى وهو في مهده: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[2]. فلا غرابة إذن لدى أُولئك النفر الذين لم تغب عنهم إرادة الله في عباده الذين اصطفى وهدى منهم ليكونوا حججه البالغة..

في خضمٍّ هذه التجاذبات الفكرية بين أتباع الإمام الجواد وبين مناوئيه يعلن المأمون دعوته للجواد بالمجيء إلى بغداد، ولم تكن تلك الدعوة إلّا ضريبة الظرف الخانق الذي يعيشه المأمون، فهو الآن محاصر بتهمة تصفية الإمام الرضا، وآل علي عليهم السلام ومن تبعهم لا يتردّدون في تهمة الخيانة التي ارتكبها المأمون في شأن الرضا، وهم اليوم يعيدون قواهم للاقتصاص من المأمون.

فبالأمس القريب استجابت ثوراتهم للهدوء بعد غليان لم يمهل العباسيين إلّا قتلاً وتنكيلاً، وكانت هدنتهم استجابة لظروف الإمام الرضا الذي يتحمل مسؤولية هذه الثورات على المستوى الرسمي والإمام تحرجه تحركات العلويين، فالمأمون لا يلقي باللائمة إلّا على الرضا حينذاك، فكان العلويون أكثر تعقّلاً من أن يحرجوا الإمام في ظرف كهذا، أمّا اليوم فلا معنى للسكوت عن دمٍ مهدور متّهمٍ فيه المأمون ونظامه، ولا يجد آل عليٍّ عليهم السلام غير النهوض بوجه عادية الغدر والخيانة التي يمثّلها نظام المأمون، هذا من جهة.

ومن جهةٍ أُخرى فإنّ العباسيين يشعرون بالانقباض ممّا تصرف به المأمون، وقد خشي هؤلاء من ضياع ملكهم بعدما أعلن المأمون أنّ للرضا ولاية العهد،

---

(١) مريم: ١٢.

(٢) مريم: ٣٠.

فكانت هواجس العباسيين تتّجه نحو ملك أهدره المأمون بعمله هذا، فهم لا يرتضون بغير الاقتصاص منه ليرجعوا ملكاً مضاعاً وسلطنة مقطّعة الأوصال.

هكذا كانت الأوضاع بُعَيدَ شهادة الإمام الرضا عليه السلام ولم يكن مندوحة للمأمون غير أن يعيد الكرّة ثانيةً مع الجواد، فالجواد الثُماني من العمر لعلّه يفشل في خطّة أبيه ويساعد المأمون في إنجاح خطته، والمأمون يريد أن يعيد تجربته ليُعوِّض ما خسره بالأمس. هذه هي هواجس المأمون الخائبة إذن..

ولم يكن للجواد مندوحة سوى القبول بعرض المأمون تحت طائلة ضغوط هي نفسها التي واجهها والده من قبل.. ويحطّ الجواد رحله في بغداد الجولة الخطيرة من مهامّ إمامته، فهو الآن يواجه عدوّاً قد أحسن اللعبة في التعامل مع الظروف الهائجة والتي تحيط به وبمصيره المجهول في ظلّ ما ينتظره من معارضتين قويتين: إحداهما تقليدية محكمة تلك هي معارضة العلويين، والأُخرى مستجدّة متزلزلة تلك هي معارضة العباسيين. وبين المعارضتين بون شاسع من الرفض والقبول، أو من التمرّد والسكوت، وبين المعارضتين رؤية الاختلاف، أو فقل: الخلاف كما هو بين أُطروحتيهما المتناقضتين.

ولم تقنع المعارضتين بالذي يفعله المأمون من تقريب الجواد إليه، أو الأصحّ في الواقع: تقرب المأمون من الجواد ليقضي أمراً لا يخفى على أحدٍ منهم.

ولم يقتنع آل عليٍّ عليهم السلام بسياسة المأمون الجديدة، فهي لا تتعدّى إسكات الخصوم والإظهار بمظهر الحريص المتباكي على حقوق أهل البيت، ولم تكن هذه الخديعة تستغفلّ العلويين حينذاك، فحسبهم ما كان من مصير الرضا على يده، وما ينتظر الجواد مصير أبيه.

فلم تهدأ للعلويين ثورة، ولا تحطّ لهم أوزار فورة، فثوراتهم ملأت أركان مملكة المأمون، فكان لصدى ثورة أبي السرايا وآثارها ما جعلت المأمون يعيش ذكرياتها المرعبة، وهواجسها المهدّدة له، ولسطوته على أركان دولته، حتّىٰ كأنّ ثورته لازالت تشحذ همم الثوريين من آل علي عليهم السلام.

فكانت حركة عبدالله بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١]، وثورة عبدالرحمٰن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في اليمن، فبايعه خلق كثير[٢].

وكان للقمّيّين هياجٌ وتمرّدٌ على حكومة المأمون في سنة (٢١٠)، انتهت بثورة مسلّحة تصدّى لها المأمون بقيادة عليّ بن هشام وجيش آخر بقيادة عجيف بن عنبسة، ويبدو أنّها صدى لتذمّر القمّيّين المعروفين بولائهم لآل عليٍّ عليهم السلام؛ جرّاء سياسة المأمون الطائشة مع الإمام الرضا، وإن كان المؤرّخون يجعلونها ثورة اقتصادية يدفعها كثرة الخراج الذي فرضه عليهم المأمون آنذاك[٣].

ظروف حرجة إذن تحيط بالمأمون، وتكاد تطيح به لولا إجراءاته المشدّدة فضلاً عن سياساته التي كان يُسكِّت بها أُولئك الثائرين، أو يهادنهم بعدما أقدم إليه محمد بن الرضا والمأمون متهم بتصفية والده، والمأمون كذلك يتمتّع بحصانة ولو ظاهرية من تفاقم المدّ الثوري لشيعة علي، فهو الآن عرف كيف يتعامل مع تلك الثورات المؤجّلة، أو يهادن أُولئك العلويين المسلّحين الذين ما فتئوا يتربصون للمأمون ولأمثالهم من العباسيين.

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٤٥٣.
(٢) المجدي في أنساب الطالبيّين: ٢٩٥.
(٣) راجع تاريخ الطبري: ٧/ ١٨٤.

ولم يكتفِ المأمون بتقريب «محمدٍ» إلى دار الخلافة، بل عمد إلى تزويجه من ابنته أُمّ الفضل، كما ذكر الطبري ذلك، وأرّخ أنّه في سنة (٢٠٢) زوّج المأمون عليّ ابن موسى ابنته أُمّ حبيب، وزوج محمد بن علي بن موسى ابنته أُمّ الفضل(١).

ولا ترجيح فيما أرّخه الطبري عندنا، إذ كان أبو جعفر في المدينة وكان له من العمر أقلّ من ثمانِ سنين، ولم يأتِ إلى خراسان بعد. نعم، فلعلّه عزم في هذه السنة تزويج أبي جعفر من ابنته أُمّ الفضل، إذ لم يكن للعباسيين رضاً في مثل هذا التزويج، بل أثار ذلك حفيظتهم وأزعجهم أيّما إزعاج، فإنّ ذلك يعني مصاهرة سياسية غير محمودة لا يرتضيها بنو العباس، فذلك ضياع لملكهم وتفريط في أمرهم، هكذا تصوروه.

وللمأمون خلاف ما يرونه في الظاهر إذا أراد أن يتقرب لآل علي عليه السلام ولفتاهم هذا الذي زُقّ العلم زقّاً، وورث ما كان لآبائه من الحظوة في العلم والجلالة في القدر، والخطر في الأمور، هكذا قدّم المأمون أبا جعفر لبني العباس، وحقيقة الأمر غير ما يدّعيه من الحرص لأبي جعفر الجواد، فإنّ للمأمون حنكة السياسة في ترتيب الأُمور، وغدرة المناور في دفع التُهَم، وإبعاد الخطر من معارضة العلويين الذين تحفّزوا للثأر من المأمون الذي قتل الرضا غيلة.

ولعلّ زواج الجواد محمد من ابنة المأمون كانت مناورة جديدة يرتكبها المأمون. فلمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته أُمّ الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم، واستنكروه منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما ينتهي مع الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا:

(١) تاريخ الطبري: ١٤٩.

ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنّا نخاف أن يخرج به عنّا أمر قد ملّكناه الله عزّ وجلّ وينزع منّا عزاً قد ألبسناه الله وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلةٍ من عملك مع الرضا ما عملت فكفانا الله المهم من ذلك فالله الله أن تردّنا على غمٍّ قد انحسر عنّا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل إلى مَن تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون:

أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالبٍ فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى لكم. وأمّا ما كان يفعله مَن قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم.

ما كان منّي من استخلاف الرضا، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبىٰ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

مؤهّلات أبي جعفر عند المأمون

وأمّا أبو جعفر محمد بن عليّ فقد اخترته لتبريزه على كافّة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلمون أنّ الرأي ما رأيت.

فقالوا له: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه،

فأمهِله ليتأدّب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم، إنّي أعرَفُ بهذا الفتى منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت لكم من حاله.

اقتراح العباسيّين على المأمون

قالوا قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخَلِّ بيننا وبينه لننصب مَن يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه. فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم، وهو يومئذٍ قاضي الزمان، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون وسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك.

المناظرة ... الجولة الحاسمة

فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست، ويُجعل له فيه مِسْوَرَتان[1]، ففعل ذلك، وخرج أبو

---

(١) المِسْوَرُ والمِسْوَرَةُ: مُتَّكَأ من أدَم، وجمعها المَساوِر. لسان العرب: ٤٢٨/٦ (مادة: سور).

جعفر وهو يومئذٍ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المِسْوَرَتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دستٍ متّصلٍ بدست أبي جعفر عليه الصلاة والسلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسال أبا جعفر عن مسألة؟

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم، فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «سل إن شئت».

قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في مُحرِمٍ قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «**قتله في حِلٍّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدأً بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مُصِرّاً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم في النهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً**».

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

عرض المأمون على الإمام الجواد عليه السلام الزواج من ابنته

ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟

فقال: «**نعم يا أمير المؤمنين**»، فقال له المأمون: اخطب لنفسك جعلت فداك، قد

رضيتك لنفسي، وأنا مزوِّجك أُمّ الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلّى الله على محمدٍ سيِّد بريته، والأصفياء من عترته.**

أمّا بعد، فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، وقال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثم إنّ محمد بن علي بن موسى يخطب أُمّ الفضل بنت عبدالله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة بنت محمد عليهما السلام، وهو خمسمائة درهمٍ جياداً، فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

فقال المأمون: نعم، قد زوجتك يا أبا جعفر أُمّ الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟

قال أبو جعفر عليه السلام: **«قد قبلت ذلك ورضيت به»**.

مراسم الاحتفال في بلاط الخلافة

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة. قال الرَّيّان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملّاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرّون سفينةً مصنوعةً من فضة مشدودة بالحبال من الإبريسم، على عجلة مملوءة من الغالية، ثم أمر المأمون أن تخضَب لحاء الخاصّة من تلك الغالية، ثم مدّت إلى دار العامة فتطيبوا منها، ووُضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كلّ قومٍ على قدرهم.

---

(١) النور: ٣٢.

توضيح الإمام مسألته الفقهية

فلمّا تفرّق الناس وبقي من الخاصة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه الذي فصّلته من وجوه من قتل المحرم لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«نعم، إنّ المحرِم إذا قتل صيداً في الحِلّ وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحِلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحشٍ فعليه بقرة، وإن كان نَعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة.**

وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه بالحجّ نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء. وفي العمد عليه المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفّارة على الحرّ في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفّارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمُصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة».

رغبة المأمون في إظهار فضل الإمام على يحيى وبني العباس

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر، أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه، وإلّا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: **«أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار حلّت له، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، ما حال هذه؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه؟**

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **«هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له، فلمّا كان نصف الليل طلّقها واحدة فحرمت عليه، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له».**

ثناء المأمون على الإمام وقوة موقف المأمون أمام العباسيين

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال؟

قالوا: لا والله، إنّ أمير المؤمنين أعلم وما رأى.

فقال: ويحكم، إنّ أهل هذا البيت خُصّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإنّ صِغَر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال.

أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يَدعُ أحداً في سنّه غيره، وبايع الحسن والحسين وهما أبناء دون الستّ سنين ولم يبايع صبياً غيرهما؟

أوَ لا تعلمون ما اختصّ الله به هؤلاء القوم، وإنّهم ذرّية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟

فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم.

الاحتفال الرسمي بزواج الإمام الجواد عليه السلام من أُمّ الفضل

فلمّا كان من الغد أحضر الناس، وحضر أبو جعفر عليه السلام وسائر القُوّاد والحجّاب والخاصّة والعمال لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام، فأُخرجت ثلاثة أطباق من الفضة، فيها بنادق مسك وزعفران، معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة، وعطايا سَنِيّة، وإقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته، فكان كلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق يده له، ووضعت البدر، فنثر ما فيها على القوّاد وغيرهم، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا. وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره مدّة حياته، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته(١).

ولم نجد تصويراً للواقع أقرب من هذه الرواية، والتي حفلت بقراءاتٍ عدّة:

---

(١) البحار: ٥٠/٧٤ ـ ٧٩.

القراءات المتعدّدة لمواقف المأمون من الإمام عليه السلام

القراءة الأُولى: دعوة المأمون لأبي جعفر الجواد عليه السلام وإقامته في العاصمة أضاف لقناعاتنا مؤشّراً آخر على تورّط المأمون في اغتيال الإمام الرضا وتصفيته جسديّاً، ومحاولة المأمون إبعاد هذه التهمة عنه، فضلاً عن امتصاص النقمة الجماهيرية لدى الأوساط العامة من المسلمين وخصوصاً شيعة الإمام، الذين باتوا يدركون أهمية المعارضة ضد النظام، ومحاولة تنظيم صفوفهم لإيقاف الانتهاكات التي ارتكبها المأمون ونظامه من إجبار الإمام الرضا عليه السلام على مغادرة المدينة والإقامة في خراسان، وفرض قبول ولاية العهد بالتهديد والقوة، حتى النهاية التي انتهت إليها مخطّطات المأمون من اغتيال مشروعه السياسي الذي تبنّاه، وهو المصالحة مع الأطراف الشيعية والعمل على إيجاد هدنة لوقف الاحتجاجات الشيعية ومعارضتها، وقد احترمت هذه القواعد رغبة المأمون في إيجاد مخرج للأزمة السياسية بينه وبين المعارضة الشيعية، فضلاً عن منح الثقة لنظام المأمون في الأخذ بزمام المبادرة في تنقية الأجواء الملبّدة بغيوم القطيعة دائماً، والمتوترة بين البيتين: العباسي الحاكم، والعلوي المعارض.

إلّا أنّ المأمون لم يحسن المهمة، فأودى بمشروعه ودعاواه الإصلاحية؛ وذلك بتعرض الإمام الرضا عليه السلام للتصفية على يديه، كما مرّ.

واليوم يريد المأمون ترميم هذه المحاولة الإصلاحية بدعوة الإمام الجواد عليه السلام للإقامة عنده، إلّا أنّه أخذت المحاولة هذه المرة منحىً آخر، وهو تأمين جانب الإمام الجواد خشية أن تصدر من قبل الإمام محاولة الثأر والانتقام لوالده ـ هكذا تصور المأمون؛ وذلك على أساس الحسابات السياسية المتعارفة في البلاط العباسي، والتي ابتعد عنها أهل البيت عليهم السلام تماماً ـ فلعلّ الإمام يوعز لقواعده

الشيعية بالتحرك ضد النظام وإعلان التمرد أو الانتفاضات وحتى الثورات الشعبية، إلّا أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لم ينتهجوا هذا الأُسلوب المادي في المواجهة مع الحاكم، بقدر ما أرادوا عليهم السلام الإبقاء على وحدة الأُمّة والعمل على تربيتها الروحية والأخلاقية، وأي تقدم في هذا المضمار يعدّ نجاحاً كبيراً في مهمّة الإمام عليه السلام وإنجازاً يحقّقه على صعيد تنفيذ الرسالة، وتحقيق الأُطروحة الإلهية في تكامل الإنسان وتنامي المجتمع الرسالي.

هذا أحد الأسباب ـ كما نرى ـ من دعوة المأمون للإمام عليه السلام إلى الإقامة عنده والزواج بابنة المأمون تنفيذاً لرغبته.

القراءة الثانية:

يتطلّع المأمون بكلّ ثقةٍ إلى قراءة المجريات التاريخية على أساس الواقع الموضوعي بكلّ تجرد، فهو بغضّ النظر عن دوافعه لهذه القراءات التاريخية ودواعيه المختلفة فإنّ تحليله لسبب القطيعة بين العباسيين وبين العلويين ببيان مظلمة العلويين ممّا ارتكبه العباسيون من قطيعة الرحم، (وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان قاطعاً للرحم)[1]. فإلقاء المسؤولية على الجانب العباسي تنظير للمسيرة التاريخية وحقائقها المختفية وراء حجب الاعتذار الذي تعهّدته الكتابات التاريخية الدائرة في فلك النظام، والمأمون اليوم يكشف عن هذه الخفايا؛ ليجسّد الحَيف الذي عاناه أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم.

ولا يهمنا دوافع المأمون من موقفه هذا بقدر ما هي محاولة لتعزيز وجهة نظره في اتخاذ إجراءاتٍ لتقريب العلويين، والدفاع عن سياسته الجديدة التي فاجأً بها

(١) مناقب آل الرسول للنجف آبادي: ص٢٠٩.

بني أبيه من العباسيين، فإلقاء اللائمة على السياسة العباسية في عدائها التقليدي للعلويين عزّز الموقف الجديد لتوجّهات المأمون. وبهذا التنظير كسب المأمون جولة النزاع الأيديولوجي بين التوجّهين العباسيين: العباسية التقليدية التي يقودها عباسيون محافظون، والعباسية المأمونية التي يتزعّمها المأمون وتياره الإصلاحي المنفتح لإيجاد مخرج لأزمة العلاقة المتشنّجة بينهم وبين آلِ عليٍّ الأقرب إلى قلوب الناس، والأحق بهذا الأمر، وعلى أساس قناعات جديرة بالاهتمام لاستنادها على أدلة شرعية منطقية.

القراءة الثالثة:

تُظهِر الرواية وجودَ تجاذباتٍ فكريةٍ بين الخطّين العباسيين المتنازعين: الخط العباسي التقليدي، والخطّ العباسي المأمونى، فالأول يحاول ثَنيَ المأمون عن قراره بأنّ محمد بن علي عليه السلام لم يزل غير مؤهّل للمسؤولية الخطيرة التي يتطلّع إليها المأمون؛ لصغر سنّ «محمد» هذا، وهو بحاجة إلى أن يتلقّى العلم والفقه على يد مؤدَّبين يخصصهم المأمون له، في حين يحاول المأمون إثبات خلاف هذه النظرة الساذجة التي تنمّ عن معرفة سطحية بأحوال محمد بن على عليه السلام، في حين تكشف توجّهات المأمون عن معرفة جديرة بمقام الإمام ومقتضيات الإمامة، وأنّ أهل هذا البيت لا يقاسون بأحد، فهم أهل العلم، وخزنة الأسرار الإلهية «فقد اخترته لإبرازه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنّه والأُعجوبة فيه بذلك»[1].

وهذه النظرة المتفائلة لدى المأمون في إمكانية «محمد عليه السلام» وأهليّته لمهمّة أبيه

---

(١) كشف الغمة: ٢/ ٨٦٧.

تنبع عن قناعات المأمون في حيثيات هذا البيت العلوي، وتقدّمه في كلّ الأُمور، وصلاحيته للخلافة دون غيرهم، وهذه النظرة التفاؤلية في توجّهات المأمون لأهل هذا البيت العلوي تُجيب عن تساؤلاتٍ عدّةٍ في سبب تعاطيه مع آل علـيٍّ عليهم السلام، متجاوزاً تقليدية العداء بين العباسيين والعلويين.

القراءة الرابعة:

يمثّل فقه يحيى بن أكثم بأنّه الفقه المقابل لمدرسة أهـل البـيت عليهم السلام أو الفـقه الرسمي الذي تتعاطى معه الدولة، في حين يُعدّ فقه أهـل البـيت عليهم السلام هـو الفـقه المطارد، وفي جولة المناظرة التي أقامها المأمون بـطلب مـن العـباسيين، ظَـهَرَ مستوى هذا الفقه مقابل تدنّي مؤهّلات أصحابه، فهو مهزوم أمام مناظره الآخـر «فقه عليّ عليه السلام»، الذي مثّله محمد بن علي الجواد عليه السلام، وهو الشعور الكـامن فـي دواخل المأمون، بل العامة كذلك، إلّا أنّ الغلبة السياسية تلعب دورها في الترهيب الثقافي، وتوجّهات المدارس الفكرية المناوئة لأهل البيت عليهم السلام تُعطي انطباعاً عاماً عن الفقه الرسمي بأنّه هو الفقه الذي يمثّل التيار العام، فكانت جولة المناظرة هذه امتحاناً لأهلية هذا الفقه، وكانت خسارة بن أكثم في المـناظرة انـعكاساً لمـدى صلاحية هذا الفقه الذي مثّله، بخلاف العـمق والمـوضوعية التـي تـجلّت عـلى طروحات محمد بن علي الفقهية.

ولم يكتفِ المأمون بالهزيمة التي لحقت بيحيى بن أكثم جرّاء هذه المناظرة، بل زاد على ذلك بأن طلب من الإمام الجـواد عليه السلام أن يسـأل يـحيى ليـؤكّد هـزيمة العباسيين في هذه الجولة، وانتصار الجانب الذي كان يلتزمه المأمون، وهو الطرف التقليدي المعارض للعباسيين، ولمّا لم يستطع ابن أكثم الإجابة على مسألة الإمام

أعلن المأمون انتصاره على خصومه العباسيين، فأقبل على توبيخهم وتأنيبهم لموقفهم المتشدِّد ضدَّ آل البيت عليهم السلام.

«فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله، إنّ أميرَ المؤمنين أعلم وما رأى.

فقال: ويحكم، إنّ أهل هذا البيت خُصُّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإنّ صغر السِنَ فيهم لا يمنعهم من الكمال. أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقَبِل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنّه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنان دون الستّ سنين، ولم يبايع صبيّاً غيرهما؟! أَوَ لا تعلمون ما اختصّ الله به هؤلاء القوم، وإنّهم ذرّية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟!

فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم»[١].

كان هذا التنظير الذي قدّمه المأمون أُطروحةً لمشروعه ومسوّغات لإجراءاته التي وقف حيالها العباسيون موقف الناقم والمعارض، ولم يُبدِ العباسيون أي اعتراضٍ في هذا الشأن؛ وذلك لِمَا للمأمون من حُجَجٍ أفحمت معارضيه، وأوقفت حملات السخط الذي بدأ، تعاطي العباسيين مع المأمون كونه خارجاً على نظامهم التقليدي في العداء لآل عليٍّ (عليهم السلام) وشيعتهم.

القراءة الخامسة:

تُعدُّ هذه المناظرة وأمثالها من المناظرات الأُخرى مؤشّراً مهمّاً على تقدّم

---

(١) كشف الغمة: ٢/٨٦٩-٨٧٠.

المعارضة العلوية في سبيل إنجاز وتحقيق مهامّها على الصعيد العام، فالمحاولات العباسية في إخفاء معالم مدرسة آل البيت عليهم السلام سعت إليها كافّة الأطراف السياسية والعقائدية المناوئة لهم، وكانت السلطة العباسية تُسيِّر دفّة هذه المحاولات؛ لتساهم في طمس معالم المدرسة العلوية وتصنيفها في خانة المعارضة المطاردة، والأُطروحة المحظورة، إلّا أنّ حالةً من الانفراج الإعلامي بدت معالمها واضحة، بعد أن أُزيلت بعض القيود العباسية على أُطروحة آل البيت عليهم السلام، والتي تمنع من انتشارها أو تدوالها لتطّلع الأُمّة على أحقّيّة هذا الفكر الناضج والتوجّه الرشيد.

القراءة السادسة:

إنّ التقدم الحاصل في مسيرة المدرسة العلوية سيُؤجِّج مشاعر العباسيين، ويثير توجّسات أُولئك السائرين في فلكهم السياسي من القضاة والفقهاء، الذين شعروا بهزيمة واضحة وخسارة لا يمكن الاعتذار عنها أحبطت معها مشاريع هؤلاء؛ ممّا دعاهم إلى التفكير بكل جدّية في التخلّص من الإمام الجواد عليه السلام، كما كانت محاولات ابن أبي داود في التآمر عليه، وهو القاضي الذي هزم أمام المعتصم في مسألة فقهية أبدى اجتهاده فيها وخالفه محمد بن علي في الرأي، فكان المعتصم مذعناً لأدلة «محمد» والأخذ بها وتجاهل آراء فقهاء البلاط، فكانت تلك الحزازة دافعةً لهؤلاء في التخلّص من «محمد بن علي»، الذي هيمنت مدرسته على مدارس فقهاء البلاط، وغدت هذه المدارس تتراجع أمام تقدّم مدرسة العلويين الفقهية، التي كانت يوماً ما محظورة على الصعيد الرسمي، وهو أمر أرّق هؤلاء الفقهاء، حتى نفذوا في محمد بن علي مؤامراتهم التي حقّقها المعتصم بعد ذلك.

فقهاء نظريات الاعتذار

ولم تَحدّ مضايقات فقهاء البلاط من نشاط محمد بن علي الجواد عليه السلام، فقد شمخ في عطائه شموخ الأوائل، دون أن تراوده فكرة الإحباط رغم ما يعانيه من مؤامرات أُولئك المتوجّسين؛ خيفة من منافسة «محمد» لمقاماتهم الرسمية التي زعزعتها الرياح العاتية لحركة المأمون، فتقتلع معها الثوابت التي دعا إليها «محمد» ونافح من أجلها آباؤه من قبل.

كان البلاط يترصّد تحرّكات الإمام، وفقهاء البلاط يتربّصون به ليوقعوه في قضية ساخنة تجرّه إلى مواجهاتٍ غير محمودةٍ، وهم يسعون لإذكاء روح العداء بين الإمام الجواد عليه السلام وبين الأُمّة التي ما فتأت تتحدّث في قابلياته ولياقته، وهي لا تخفي إعجابها به، فإنّه امتداد لسلالة النبوة، ومستودع العلوم، وكان إعجاب الأُمّة بحفيد النبي صلى الله عليه وآله يُوَصِّل نظرية السماء في خلافة الله على الأرض، وليس الفقهاء بغافلين عن ذلك الذي تستشعره الأُمّة في حفيد محمد صلى الله عليه وآله، ولا تخفى عليها مناورات التآمر حينما تريد أن توقع ما يثير الأُمّة ويستفزّها من مطارحات عقائدية تُؤَجِّج شحناء العامة وتُقدّمها مادةً للفرقة والاحتراب.

ولم يَغِب عن الجواد محمد أنّه عليه السلام صاحب رسالة ورثها عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله، فهو اليوم يؤسِّس لنظرية أسلافه، كما هو يُؤَصِّل ويُقنِّن، فخلاف الخلافة بات يؤرِّق الأُمّة حيثما لم تهتدِ في ظِلّ رؤى النظام والتأريخ المسَّيس وقتذاك، ولابد ليحيى بن أكثم المنهزم بالأمس أن يوقع بمحمد بن علي الذي كشف عَواره وأظهر للناس سذاجة ما يحمله يحيى من علم أغدق عليه النظام لقب «قاضي القضاة»، فهو اليوم يثأر لكرامته المهدورة وشخصيته الممتهنة بالأمس، فبادر في

اليوم الثاني أن يسأل يحيى هذا السؤال للإمام محمد عليه السلام:

قال يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي: أنّه نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد، إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك: سَل أبا بكر هل هو عنّي راضٍ فإنّي عنه راضٍ؟![١]

فقال أبو جعفر عليه السلام: «**لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: قد كثرت عليَّ الكذّابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عنّي فأعرِضوه على كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢]. فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سرِّه؟! هذا مستحيل في العقول!**».

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي: «أنّ مَثَلَ أبي بكرٍ وعمرَ في الأرض كَمَثَلِ

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه هكذا عن ابن عمر، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعنده أبو بكر الصديق، عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال؟ قال: أنفق ماله عليَّ قبل الفتح. قال: فأقرِئه عن الله السلام وقل له: يقول لك ربّك: يا أبا بكر، أراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر هذا جبريل يُقرئك عن الله السلام، ويقول لك: أراضٍ عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر، وقال: أعلى ربّي أسخط؟! أنا عن ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٢/٦، والعجيب أنّ الخطيب سكت عمّا رواه ممّا يدلّ على ارتضائه لهذه الأعاجيب.

(٢) قٓ: ١٦.

جبرائيل وميكائيل في السماء».

فقال عليه السلام: **«وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأنّ جِبرائيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله، فمحال أن يُشبِّههما بهما».**

قال يحيى: وقد روي أيضاً «أنّهما سيّدا كهول أهل الجنة». فما تقول فيه؟

فقال عليه السلام: **«وهذا الخبر محال أيضاً؛ لأنّ أهل الجنّة كلّهم يكونون شباباً ولايكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أُمية؛ لمضادّة الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنّهما سيِّدا شبابِ أهلِ الجنّة».**

فقال يحيى بن أكثم: وروي: «أنّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة».

فقال عليه السلام: **«وهذا أيضاً محال؛ لأنّ في الجنة ملائكة الله المقرّبين، وآدم ومحمد، وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!».**

فقال يحيى: روي: «أنّ السكينة تنطق على لسان عمر».

فقال عليه السلام: «لست بمنكرٍ فضل عمر، ولكنّ أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا مِلتُ فسدِّدوني».

فقال يحيى: قد روي: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لو لم أُبعث لبُعِث عمر».

فقال عليه السلام: **«كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1] فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه؟! وكل الأنبياء عليهم السلام لم يُشرِكوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟! وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نُبِّئتُ وآدم بين الرُوح والجسد».**

---

(١) الأحزاب: ٧.

فقال يحيى بن أكثم: «وقد روي أيضاً: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما احتبس عنّي الوحي قطّ إلّا ظَنَنتُه قد نزل علىٰ آل الخطّاب».

فقال عليه السلام: **« وهذا محال أيضاً؛ لأنّه لا يجوز أن يشكّ النبي صلى الله عليه وآله في نبوته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[1]، فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟!».**

قال يحيى: روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لو نزل العذاب لَما نَجا منه إلّا عمر».

فقال عليه السلام: **«وهذا محال أيضاً؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2]. فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون**[3].

ولم يكن يحيى قد ألقى على الإمام الجواد عليه السلام هذه الأسئلة لمجرد كونها أسئلةً نقلها يحيى عن الرواة ليقف على الصحيح منها، بقدر ما هي محاولات استدراج استفزّ بها أبا جعفر أمام المأمون، وأهل الحلِّ والعقد من أصحاب القرار في الدولة العباسية يحضرون هذا الحوار... ولم يكن بوسع الإمام السكوت عن كلّ ما طرحه يحيى، فالإمام في طور التأسيس لمبتنيات أفقدتها السياسة حضورها، وهمّشت توجّهاتها في خضمّ صراعٍ سياسيٍّ تقليديٍّ ألغىٰ معها جميع الثوابت عند ذاك، وكان يحيى في موقع التنظير لنظرية الخلافة والتأصيل لتداعيات السقيفة حينما قدمت رجالاتها، دون أن يجد المسلمون ايَّ فُضلٍ لأصحابها، وكأنّ نظرية السقيفة حوصرت من قبل معارضة أهل البيت الصامتة، إلّا أنّها كانت ناطقةً بفضل أصحابها

---

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ٢/٤٧٧ - ٤٨٠، ح٣٢٣، و عنه البحار: ٥٠/٨٠، ح٦.

ومقامات أهلها، وكانت تُدين أُولئك الذين تدافعوا علىٰ مقام الخلافة بمحاولات الغلبة السياسية ومناوراتها.. ولم يجد أتباعها بعد ذلك مندوحة من السكوت أو الغضّ عن كلّ ما يلمزه المتسائلون عن حقيقة الاستحقاق الذي دعا أهل السقيفة إلىٰ ترشيح أنفسهم، ودفع الآخرين بقوة السيف عن كلّ معارضة تُطيح بمشروعهم هذا.

ووجد هؤلاء الأتباع أنّهم تحت طائلة التساؤل الحثيث في تقديم رؤية عن قابليات أصحاب السقيفة، الذين أغلقوا الطريق على كلّ أحدٍ للوصول إلى منصب الخلافة .. فهم الآن مطالبون بوضع ملامح الصورة الجديدة لأصحاب السقيفة، ووضع رتوش التجميل حتى على حساب المبادئ.. وهم اليوم أحوج إلى ذلك من أي وقت كان بعد أن صار للمعارضة العلوية حضورها..

إذن فليكن يحيى وغير يحيى من أصحاب نظرية السقيفة أن يبرمجوا نظريتهم حديثياً، أي محاولة استيعاب الحديث النبوي لنظرية السقيفة على أساس لون من ألوان الفضائل؛ وليجدوا الحديث الآن حاضراً في قولبة نظرية السقيفة وحضورها ضمن مخطّطات رواة الحديث، وقصارىٰ ما تجيب المعارضة العلوية في نظر هؤلاء: أنّ هذه الأحاديث موضوعة، وأقصر الطرق لردّ المنكرين لهذه الأحاديث بأنّ هؤلاء لم يستطيعوا استيعاب هذه الفضائل حسداً منهم لأهل الشأن من السقيفيين الأوائل، وأهل السلف من الأصحاب، وبذلك فستكون في نظر يحيى وفريقه أجوبة المعارضة واهية لا تنفع شيئاً ..

وفي غمرة هذه التمنّيات التي توقّعها هؤلاء تفاجؤهم أجوبة الإمام الجواد بقرآنية الأدلّة وسنن النبيّ ﷺ التي يتفق عليها الفريقان، أي كان للقرآن حضوره،

وصار الإمام يحاكم هذه النصوص بآيات الكتاب، ولم تجد ليحيى بعد ذلك أية مشاركة على صعيد الدفاع عن مبتنياته التي صاغها على أساس الحديث النبوي فهو مجرد متلق لصناعات الإجابة بكل تسليم دون أن يقوى على ردّها أو إنكارها على الأقل، ممّا سجل هذا الحوار سبباً في دفع نظرية الإمامة إلى تقدم واسع شهده المأمون وسمعه الآخرون، ولعلّ هذا الانتصار الرائع من مقتضيات نشر عقيدة آل البيت عليهم السلام في الأوساط السياسية المتشنّجة ضدّهم، وفي الوقت نفسه كان هذا الانتصار داعياً كذلك للتآمر على حياة الإمام من قبل فقهاء الاغتيالات «الإسلامية»، أي التصفيات الجسدية للمعارضة وهي ترتدي لباسها الديني الفتوائي.

الجواد ووراثة التوحيد...دفاع عن الوحدانية الحقة

ولم يكتفِ «محمد عليه السلام» في دفاعه عن مبدأ الإمامة ما لم يكن مطعّماً بمبدأ التوحيد، فالتشبيه والتجسيم صنمية الثقافة العباسية المستوردة من خلف الأسوار الإسلامية، تنتفض اليوم بعد أن دعاها معاوية بن أبي سفيان برجالاتها المنظِّرين: كعب الأحبار وأبو هريرة وأمثالهما؛ لإيجاد صيغ جاهزة تحرف المسيرة التوحيدية عن اتجاهها المحمدي الذي أرسى قواعده إبّان دعوته، وتتراجع هذه التنظيرات التجسيمية بعد تصدّي أهل البيت عليهم السلام خصوصاً، وعصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام يسمحان للتحرك بهذا الاتجاه، إلّا أنّ عصر المزاوجة الثقافية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي دعا المأمون أن يتسامح في إذكاء روح الثقافة التجسيمية من جديد، ولم يكن بوسع أئمة أهل البيت عليهم السلام إلّا أن يتصدَّوا

لمثل هذه التيارات وإيقاف عتوِّها المقتلع لثواب التوحيد.

وكان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قد تمتّع بفرصة الحوار مع أُولئك المجسِّمة من المسلمين والديانات الأُخرى: يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها، فاغتنم فرصة المحاورات الرسمية التي عقدها المأمون لإظهار فضل الإمام الرضا عليه السلام ومقامه العلمي، وتصويب رأيه في اختياره الموفق للإمام ولياً للعهد، واليوم خليفته الجواد يعتلي منصّة الحوار، ويلقي من نظريات التوحيد ما توقّف معها انتهاكات أُولئك المجسِّمة وأمثالهم.

ففي جوابه لمن سأله عن الرب تعالى: أَلَهُ أسماء وصفات في كتابه؟ وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «**إنّ لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: (هي هو) أنّه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول: (هذه الأسماء والصفات لم تزل) فإنّ ممّا لم تزل محتمل على معنيين:**

فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقها فنعم، وإن كنت تقول: لم تزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدون، وهي ذكره وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعنيّ بها هو الله، لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنّما يختلف ويتألّف المتجزّئ، ولا يقال له: قليل ولا كثير، ولكنّه القديم في ذاته؛ لأنّ ما سوى الواحد متجزِّئ، والله واحد لا متجزّئ ولا متوهّم بالقلّة والكثرة، وكل متجزّئٍ أو متوهّم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له، فقولك: (إن الله قدير)

خبّرت أنه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز لسواه، وكذلك قولك: (عالم) إنّما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل لسواه، فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع فلا يزال من لم يزل عالماً».

فقال الرجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعاً؟

فقال عليه السلام: **«لأنّه لا يخفى عليه ما يُدرَك بالأسماع، ولم نَصِفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك سمّيناه بصيراً لأنّه لا يخفى عليه ما يُدرَك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر طرفة العين، وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وما هو أخفى من ذلك، وموضع المشي منها والشهود والسفاد، والحدب على أولادها، وإقامة بعضها على بعض، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمغاور والأودية والقفار، وعلمنا بذلك أنّ خالقها لطيف بلا كيف، إذ الكيف للمخلوق المكيَّف.**

وكذلك سمّينا ربّنا قوياً بلا قوة البطش المعروف من الخلق ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له، ولا ضدّ ولا ندّ، ولا كيفية، ولا نهاية، ولا تصاريف، محرّم على القلوب أن تحمله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تصوّره، جلّ وعزّ عن أداة خلقه، وسمات بريّته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً»[1].

وفي رواية داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] ما معنى الأحد؟

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٤٦٧/٢، ح ٣٢١ - عنه البحار: ١٥٣/٤، ح ١.
(٢) الاخلاص: ١.

قال: **«المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾**(١) **ثم يقولون بعد ذلك: له شريك وصاحبة»**.

فقلت: قوله: **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾**؟(٢)

قال: **«يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدقّ من إبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السِند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لاتدركه، فكيف تدركه الأبصار»**(٣).

وفي حديث بن أبي نجران قال: سألت: أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد، فقلت: أتوهم شيئاً؟

فقال: **«نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك من شيء فهو خلافه، لايشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام؟ إنّما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود»**(٤).

وسئل عليه السلام: أيجوز أن يقال لله: إنّه شيء؟

فقال عليه السلام: **«نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه»**(٥).

في واقع إسلامي أغرقته نظريات المتفلسفين القادمة ضمن حملات الترجمة التي بدأها المأمون في جلب الكثير من كتابات الروم الفلسفية، وتوجّهات الهند

---

(١) العنكبوت: ٦١.
(٢) الأنعام: ١٠٣.
(٣) الاحتجاج ٢/ ٤٦٥، عنه البحار: ٤/ ٣٩، ح ١٧.
(٤) التوحيد: ص١٠٣، ح٦، عنه البحار: ٣/ ٢٦٦، ح ٢٢.
(٥) التوحيد: ص١٠٤، ح٧، عنه البحار: ٣/ ٢٦٠، ح ٢٩، الاحتجاج: ٢/ ٤٦٦، ح ٣٢٠.

القصصية، ومساعي الفرس الأدبية، فضلاً عن ثقافات أهل الصين، ومحاولات الترك، ونزعات البربر، وفنون اليونان، وغيرها من تجسيمات اليهود، وتثليث النصارى، واختلافات أهل الملّة، كل ذلك أربكت عقلية الفرد وأودت بالجماعة الإسلامية إلى تقمّصات هذه الثقافات الجديدة غير الواعية في معرفة صفات الله، فخلطت بين صفات الذات وصفات الفعل، وأثبتت من صفات التنزيه ما كان ينبغي أن تجلّ عنه الذات وتوصف به أفعاله تعالى، وانزلق المجتمع الإسلامي إلى مهاوي التشبيه ومحاولات الإلحاد، حتى كان للإمام الجواد وقبله والده الإمام الرضا عليهما السلام الأثر في صدّ عادية هذه التيارات الفكرية المنحرفة.. وأنت ترى ما لهذه الأُسس التوحيدية في كلام الإمام الجواد من أثر في انتشال المدرسة الإسلامية من مخاطر الانحراف الفكري القادم.

ما منّا إلّا قائم بأمر الله

مع تزايد الاهتمام في قضية الإمام المهدي عليه السلام من لدن المجتمع الإسلامي؛ وذلك بسبب تصاعد وتيرة الظلم واستشراء الفساد، دفع الناس إلى أن تتوجّه أنظارهم للمنقذ الموعود، وتمنّى هؤلاء أن يرتفع ما يعانيه المجتمع من ظلم وفوضى في المفاهيم الإسلامية بظهور من يعيد للأُمّة شخصيتها الإسلامية المفقودة، وتوسّل أُولئك المحيطون بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن يكون صاحبهم هو القائم الموعود، والإمام الجواد أحد أُولئك المؤمّل فيهم القيام بأمر الله، إلّا أنّ الإمام الجواد يحاول أن يبعد هذه الفكرة، ويقرّب صفات القائم عليه السلام إلى أذهان الناس، بقوله لعبدالعظيم الحسني رضي الله عنه حين سأله عن القائم، حيث قال:

قلت لمحمد بن علي بن موسى عليهم السلام: يا مولاي، إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فقال عليه السلام: **«ما منّا إلّا قائم بأمر الله، وهادٍ إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهِّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، وتحرم عليهم تسميته، وهو سَمِيّ رسول الله وكنيه، وهو الذي تُطوى له الأرض، ويُذلّ له كل صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض؛ وذلك قول الله ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشر آلاف رجل خرج بإذن الله، فلايزال يقتل أعداء الله حتى يرضىٰ عزّ وجلّ».**

قال عبدالعظيم: فقلت له: يا سيدي، فكيف يعلم أنّ الله قد رضي؟

قال: **«يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزّى فأحرقهما»**[2].

ولم يكن عبدالعظيم قد اختلط عليه أمر قائمهم عليه السلام، فهو الحامل لأحاديثهم، والحافظ لتراثهم، والقيِّم على رواياتهم إبّان اشتداد الأمر على شيعتهم وملاحقتهم إيّاهم، فكان عبدالعظيم الحسني مهاجراً إلى حيث حفظ نفسه الشريفة وتراث أئمته المقدس، حرصاً منه على إيصال هذا الكمِّ الهائل من تراثهم إلى أجيال شيعتهم، وهو الملازم لهم عليهم السلام في أحلك الظروف، فكيف يغيب عن عبدالعظيم مسألة القائم

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) الاحتجاج: ٢/٤٨١، ح٣٢٤، اكمال الدين: ٢/٣٧٧، ح٢، ب٣٦، عنه البحار: ٥٢/٢٨٣، ح١٠.

وتشخيصه حتى يختلط عليه الأمر فيسأل الجواد عليه السلام عن كونه القائم أم لا؟!

وعلى ما يبدو أنّ عبدالعظيم أراد أن يسأل الإمام الجواد عليه السلام عن القائم ليبعد شبهة الضعفاء الذين يتوسّلون بأيّ شخصية يجدون فيها مواصفات خاصة يقتنعون بها، فيجعلون صاحبها مؤهلاً لأن يكون المهدي، وقد انخرط في شبهة المهدوية الكثير، حيث نسبوها إلى بعض الأئمة عليهم السلام، كالإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، ولبعض أبناء الأئمة كذلك، والظاهر أن ضيق الظروف الأمنية والاختناق السياسي الذي تفرضه السلطة تدفع بالبعض إلى اضطراب العقيدة المهدوية لديهم، فيأملون أن يكون الإمام الحاضر هو قائم آل البيت عليهم السلام، وهو ما دعا عبدالعظيم الحسني أن يثير هذا التساؤل الخطير، وقد أضاف عبدالعظيم بسؤاله هذا للإمام تراثاً مهدوياً مهمّاً، ورؤيةً ناضجة معصومة؛ كي تعرف الأُمّة في ظلّ هذه الظروف إمامها وواقعه الذي يحبط به.

الإمام الجواد.... راوية الحديث المحظور

لم يزل حديث عليٍّ عليه السلام محاصراً يعاني من الحظر الرسمي الذي لا يجوز معه في عرف السياسة أن تبقى آثاره كمعارضة شاخصة تدين النظام القائم، وتُحرِّض الأُمّة أن تقرأ واقعها على أساس معطيات الإسلام الأصيل، ولم يزل رواته يحفظونه في صدورهم، ويكتمونه خشية الملاحقة والقتل والتنكيل، وهو مع هذا كله يخترق حواجز الممنوع وحجب المحظور، وسياسات الأنظمة لا تقوى على قهر إرادة الأُمّة في حقها للوقوف على المعرفة الحقيقية حينما تجدها في منابعها الروائية، فالحظر لم يرهب الحديث النبوي يوم كان محظوراً عليه ومحجوراً على

رواته، وهو لا يوقف رغبة الأُمّة في سماعها الحديث، ولا يلغي دور رواته في مناقلته والعمل على ضوئه، ولم يجد الحديث متنفّساً بعيد رحيل نبيه ﷺ، حتى مرّ بفترات الحظر والمطاردة والقهر، بل وحتى التحريف يوم كان معاوية بن أبي سفيان متوثّباً ليلفّق أحاديث موضوعة تحطّ من مناقب أعدائه وفضائلهم وكل ما ورد في علي وآل علي عليهم السلام، وتُحدث ما ينافي ذلك لتنسج الفضائل على لسان النبي ﷺ في شخص معاوية وآل أبي سفيان، وفيما ذكرناه في بحوث تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النصّ ونصّ السلطة غنىً عن كل مجريات معاناة الحديث وحملته ورواته.

في ظلّ هذا الصراع المحتدم بين الحديث النبوي وبين السلطة صراع بكل حيثياته ودقائقه وتوجّهاته، بل صراع بين مفاهيم الحديث وقيمه، وبين دواعي السلطة وطموحها في الاستحكام على مناشئ الحديث ورواته؛ لتغلق منافذ الطريق على القيم الأصيلة التي يحملها الحديث النبوي، أضف إلى ذلك أنّ الحديث النبوي بمثابة الرقيب على الحاكم ونظامه، فهو إذن حالة من حالات العرقلة لتحركات النظام باتجاهاته الخاصة البعيدة عن الشريعة والتزاماتها، وبذلك سيعيش النظام مذعوراً من الحديث، تطارده هواجسه التي ما فتِئت تُدين النظام ورجالاته، من هنا تعرف مدى الهوّة الساحقة بين الحديث النبوي كمفهوم وبين السلطة كتوجّهات وطموحات جامحة، ومثل هذا الوضع الحذر الذي يعيشه النظام من الحديث لا يسمح بعد ذلك لرواته أن يؤسّسوا مدرستهم الروائية على أساس مبتنيات سليمة، ومعنى ذلك أنّ الحديث الملاحق يبقى محاصراً، إلّا أنّه يجد متنفّساً أحياناً ليبيح به حملته إلى أسماع الثقات.

وإذا كان النظام قد أذن أن تتخذ ثقافة أهل البيت عليهم السلام متّسعاً من الحركة إبّان المأمون العباسي الذي أسّس نظرية إمكانية التعايش مع العلويين ودعا إلى سياسة التسامح والحوار، فإنّ الإمام محمد الجواد عليه السلام سيكون في طليعة أُولئك المعنيين بهذه النظرية المأمونية التي من خلالها أشرف الحديث النبوي من نافذة الإمامة على ثقافة الأُمّة وتوجّهاتها، وكان الإمام الجواد عليه السلام حاضراً في تمتين العلاقة بين الأُمّة وبين الحديث النبوي؛ لذا سيجد الحديث متنفّساً يتجه بامتداداته إلى قطّاعات الأُمة بكل ألوانها؛ لذا فإنّ الإمام عليه السلام قدّم نماذج المعرفة على أساس صيغ الحديث النبوي، أو الحديث العلوي المضمّخ بدماء آل علي منذ عقود حتى يصل معافىً دون أن تمسّه يد الوضع والتحريف.

فقد روى عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام، قال: **«بعثني النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني: يا علي، ما حارَ من استخار، ولا ندم من استشار. يا علي، عليك بالدلجة (أي السير بالليل) فإنّ الأرض تُطوى في الليل ما لا تطوى بالنهار. يا علي، اغدُ باسم الله فإنّ الله بارك لأُمّتي في بكورها»**(١).

وقال عليه السلام: **«من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة»**(٢).

وعنه عليه السلام وقد سئل عن حديث النبي صلى الله عليه وآله: **«أنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار؟ فقال: خاصّ للحسن والحسين»**(٣).

وعنه، عن عليٍّ عليه السلام قال: **«في كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام: أنّ ابن آدم أشبه شيء**

---

(١) أمالي الطوسي: ص١٣٦، ح٣٣، كشف الغمة: ٢/٨٥٩.
(٢) أمالي الطوسي: ص ٨٤، ح ٣٣.
(٣) أعيان الشيعة : ٢/٣٥.

بالمعيار، إمّا راجح بعلم ـ وقال مرّةً بعقل ـ أو ناقص بجهل»(١).

وعنه: قال عليّ عليه السلام لأبي ذرّ رضي الله عنه: «**إنّما غضبت لله عزّ وجلّ، فارجُ من غضبت له، إنّ القومَ خافوكَ على دنياهم وخِفتَهم على دينك، واللهِ لو كانت السماوات والأرضون رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً، لا يؤنسنك إلّا الحق، ولا يوحشنك إلّا الباطل**»(٢).

وعنه، عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال لقيس بن سعد وقد قدم عليه من مصر: «**يا قيس إنّ للمحن غايات لابد أن يُنتهىٰ إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها، فإنّ مكايدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها**»(٣).

وريث النهج

وراثة علوية تأخذ بآفاق الحكمة إلى مَدَيات واسعة؛ لتفعل الخير تجسيداً لواقع مقروء، بل معاين ومشاهد، يجسِّده الإمام ليلقيه شذرات من درر أقواله في صياغة نهج جده العلوي؛ ليعيد إلى الذاكرة تلك البلاغة التي ما فتِئت ترتضع من القرآن وتغفو على عتبات الحديث النبوي والحكمة العلوية، و«محمد» هذا هو الإمام، هو إمام الكلام، لا يُدانيه أحد في عصره كما كان آباؤه عليهم السلام من قبل، وقد ألقى في مجالسه هذه الشذرات التي ما قرأتها إلّا وتخيّلت أنّي أقرأ في نهج البلاغة، وهو دليل الوراثة النبوية والسلالة العلوية المباركة.

وبهذا فسنقرأ العطاء الثرّ الذي خلقه محمد الجواد لأُمّة جدّه، بل للإنسانية جمعاء.

---

(١) اعيان الشيعة: ٢/٣٥، كشف الغمة: ٢/٨٥٩.

(٢) اعيان الشيعة: ٢/٣٥، كشف الغمة: ٢/٨٥٩.

(٣) اعيان الشيعة: ٢/٣٥، كشف الغمة: ٢/٨٥٩.

وروي عنه عليه السلام قال: «من وثق بالله أراه السرور، ومن توكّل عليه كفاه الأُمور، والثقة بالله حصن لا يتحصّن فيه إلّا مؤمن أمين، والتوكّل على الله نجاة من كل سوء، وحرز من كل عدو، والدين عِزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البِدَع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن عاب عِيب، ومن شتم أُجيب، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى»[١].

وقال عليه السلام: «أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة، والغنى، والعلم، والتوفيق»[٢].

وقال عليه السلام: «إنّ لله عباداً يخصّهم بالنعم، ويقرّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها إلى غيرهم»[٣].

وقال عليه السلام: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلّا عظمت عليه مؤنة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرّض النعمة للزوال»[٤].

وقال عليه السلام: «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنّما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبنّ شكر ما صنع إلى نفسه من غيره»[٥].

وقال عليه السلام: «من أمّل إنساناً فقد هابه، ومن جهل شيئاً عابه، والفرصة خلسة، ومن

---

(١) كشف الغمة: ٢/٨٦٠، اعيان الشيعة: ٢/٣٥، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٢.
(٢) كشف الغمة: ٢/٨٦٠، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) كشف الغمة: ٢/٨٦٠، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٣.
(٥) المصدر السابق.

كثر همّه سئم جسده، والمؤمن لا يشتفي غيظه، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه»[١].

وقال في موضع آخر: «عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه»[٢].

وقال عليه السلام: «من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتّقى الله أحبّه الناس وإن كرهوا»[٣].

وقال عليه السلام: «عليكم بطلب العلم فإنّ طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الإخوان، ودليل على المروة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأُنس في الغربة»[٤].

وقال عليه السلام: «العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوعاً، ومن عرف الحكمة لم يصبر على الازدياد منها، الجمال في اللسان، والكمال في العقل»[٥].

وقال عليه السلام: «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم، والإيثار زينة الزهد، وبذل المجهود زينة النفس، وكثرة البكاء زينة الخوف، والتقلّل زينة القناعة، وترك المنِّ زينة المعروف، والخشوع زينة

---

(١) المصدر السابق.
(٢) كشف الغمة: ٢/٨٦٠، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٤.
(٣) كشف الغمة: ٢/٨٦٠.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

الصلاة، وترك ما لا يعنى زينة الورع»[١].

وقال عليه السلام: «حسب المرء من كمال المروءة، وتركه ما لا يحمل به، ومن حيائه أن لا يلقى أحداً بما يكره، ومن عقله حسن رفقه، ومن أدبه أن لا يترك ما لابدّ له منه، ومن عرفانه علمه بزمانه، ومن ورعه غضّ بصره وعفّة بطنه، ومن حسن خلقه كفّه أذاه، ومن سخائه برّه بمن يحب حقه عليه، وإخراجه حق الله من ماله، ومن إسلامه تركه ما لا يعنيه، وتجنّبه الجدال والمراء في دينه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن صبره قلة شكواه، ومن عقله إنصافه من نفسه، ومن حلمه تركه الغضب عند مخالفته، ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عمّا لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه جوارك تركه توبيخك عن إساءتك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه ترك عذلك عند غضبك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة أذاك، ومن صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن صلاحه شدة خوفه من ذنوبه، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن حكمته علمه بنفسه، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بإصلاح عيوبه»[٢].

وقال عليه السلام: «لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»[٣].

وقال عليه السلام: «الفضائل أربعة أجناس: أحدها: الحكمة، وقوامها في الفكرة. والثاني: العفة، وقوامها في الشهوة. والثالث: القوة، وقوامها في الغضب. والرابع: العدل،

---

(١) كشف الغمة: ٢/٨٦١، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٤.

(٢) كشف الغمة: ٢/٨٦١، الفصول المهمة: ج٢، ص١٠٥٤، نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ص٤٤، ح٩، طبع قم، والديلمي في اعلام الخاطر: ص١٢٧.

(٣) كشف الغمة: ٢/٨٦١.

وقوامه في اعتدال قوى النفس»[١].

وقال عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء»[٢].

وقال عليه السلام: «يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»[٣].

وقال عليه السلام: «أقصد العلماء للمحجّة الممسك عند الشبهة، والجدل يورث الرياء، ومن أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل، والطامع في وثاق الذل، ومن أحب البقاء فليعد للبلاء قلباً صبورا»[٤].

وقال عليه السلام: «العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم»[٥].

وقال عليه السلام: «الصبر عند المصيبة مصيبة الشامت بها»[٦].

وقال عليه السلام: «التوبة على أربع دعايم: ندم القلب، واستغفار باللسان، وعمل بالجوارح، وعزم أن لا يعود»[٧].

وقال عليه السلام: «ثلاث من عمل الأبرار: إقامة الفرائض، واجتناب المحارم، واحتراس من الغفلة في الدين»[٨].

وقال عليه السلام: «ثلاث يبلغن العبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، وخفض الجانب، وكثرة الصدقة»[٩].

---

(١) كشف الغمة: ٢/٨٦٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) كشف الغمة: ٢/٨٦٢، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٥.
(٤) كشف الغمة: ٢/٨٦٢.
(٥) كشف الغمة: ٢/٨٦٢، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٥.
(٦) المصدر السابق.
(٧) كشف الغمة: ٢/٨٦٢.
(٨) المصدر السابق.
(٩) كشف الغمة: ٢/٨٦٢، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٥.

وقال عليه السلام: «أربع من كُنّ فيه استكمل الإيمان: من أعطى لله، ومنع في الله، وأحبّ لله، وأبعض فيه»[١].

وقال عليه السلام: «ثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل عند العزم على الله عزّ وجلّ»[٢].

وقال عليه السلام: «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»[٣].

وقال عليه السلام: «مقتل الرجل بين لحييه، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير»[٤].

وقال عليه السلام: «ثلاث خصال تجتلب بهنّ المحبّة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء والرجوع إلى قلب سليم»[٥].

وقال عليه السلام: «فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء، والخلق أشكال، فكلٌّ يعمل على شاكلته، والناس أخوان فمن كانت أُخوّته في غير ذات الله فإنّها تحوز عداوةً؛ وذلك لقوله تعالى ﴿الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ[٦]﴾»[٧].

وقال عليه السلام: «من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه»[٨].

---

(١) كشف الغمة: ٢/٨٦٢.

(٢) كشف الغمة: ٢/٨٦٢، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) سورة الزخرف، آية ٦٧.

(٧) كشف الغمة: ٢/٨٦٣، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٦.

(٨) المصدر السابق.

وقال عليه السلام: «كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك»[١].

وقال عليه السلام: «لا يفسدك الظنّ على صديق وقد أصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانيةً فقد شانه، استصلاح الأخيار بإكرامهم، والأشرار بتأديبهم، والمودة قرابة مستفادة، وكفى بالأجل حرزاً، ولا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثمانية عشر سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه، وما أنعم الله عزّ وجلّ على عبدٍ نعمةً فعلم أنّها من الله إلّا كتب الله جلّ اسمه له شكرها قبل أن يحمده عليها، ولا أذنب ذنباً فعلم أنّ الله مطّلع عليه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إلّا غفر الله له قبل أن يستغفره»[٢].

وقال عليه السلام: «الشريف كل الشريف من شرّفه علمه، والسؤدد حقّ السؤدد لمن اتقى الله ربّه، والكريم من أكرم عن ذلّ النار وجهه»[٣].

وقال عليه السلام: «من أمّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان»[٤].

وقال عليه السلام: «موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبِرّ أكثر من حياته بالعمر»[٥].

وقال عليه السلام: «لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولنّ عليكم الأَمَدُ فتقسوا قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم»[٦].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) كشف الغمة: ٢/٨٦٣، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٦.
(٣) كشف الغمة: ٢/٨٦٣.
(٤) كشف الغمة: ٢/٨٦٣، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٧.
(٥) المصدر السابق.
(٦) كشف الغمة: ٢/٨٦٣، الفصول المهمة: ٢/١٠٥٦.

قال الإربلي أبو الحسن عليّ بن عيسى: هذا ما أردت نقله من كتاب الجنابذي رحمه الله، وقد نقل أشياءً رايقةً وفوائد فايقةً وآداباً نافعة، وفِقَراً ناصعة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ممّا رواه الإمام محمد الجواد بن الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه" عليهم السلام.

وروى الشيخ الصدوق، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني رحمه الله أنّه قال: قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ الرضا عليهما السلام: يا ابن رسول الله، حدثني بحديث عن آبائك عليهم السلام.

فقال عليه السلام: **«حدثني أبي، عن جدي عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوَوا هلكوا»**.

قال: قلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: **«حدّثني أبي، عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو تكاشفتم ما تدافنتم»**.

قال: قلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: **«حدّثني أبي، عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»**.

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: **«حدثني أبي، عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من عتب على الزمان طالت معتبته»**.

قال: قلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: **«حدثني أبي عن، جدّي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:**

مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: « **حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: « **حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قيمة كل امرئٍ ما يحسنه».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: « **حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: « **حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هلك امرؤٌ عرف قدره».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: « **حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: التدبير قبل العمل يؤمنك الندم».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: « **حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام : من وثق بالزمان صُرَع».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: « **حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:**

خاطر بنفسه من استغنى برأيه».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال: «**حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قلة العيال أحد اليسارين».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «**حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من دخله العُجُب هلك».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «**حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من أيقن بالخلف جاد بالعطية».**

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال: «**حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من رضي بالعافية ممّن دونه رزق السلامة ممّن فوقه».**

قال: فقلت له: حسبي[١].

وروي عنه قوله عليه السلام: «**الثقة بالله تعالى ثمن لكلّ غالٍ، وسلّم إلى كلّ عالٍ**»[٢].

وقوله عليه السلام: «**عزّ المؤمن من غناه عن الناس**»[٣].

وقال عليه السلام: «**لا تكن وليّ الله في العلانية، عدوّاً له في السرّ**»[٤].

---

(١) منتهى الآمال ٢/٥٥٥ ـ ٥٥٨ عن عيون الأخبار ٢/٥٣، ح ٢٠٤.

(٢) اعلام الدين: ص ٣٠٩، البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح ٥.

(٣) اعلام الدين: ص ٣٠٩، عنه البحار: ٣٦٥/٧٥، ح ٥، اعلام الهداية، ص ٢٠٤.

(٤) المصدر السابق.

وقال عليه السلام: «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة»[١].

وقوله عليه السلام: «كيف يضيع مَنِ اللهُ كافله؟ وكيف ينجو مَنِ اللهُ طالبه؟ ومَن انقطع إلى غير الله وَكَلَه الله إليه، ومَن عمل على غير علم ما، أفسد أكثر ممّا يصلح»[٢].

وقال عليه السلام: «إيّاك ومصاحبة الشرير فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره»[٣].

وقال عليه السلام: «كفى بالمرء خيانةً أن يكون أميناً للخونة»[٤].

وقال له عليه السلام رجل: أوصِني.

قال عليه السلام: «وتقبل؟».

قال: نعم.

قال عليه السلام: «توسّد الصبر، واعتنق الفقر، وارفضِ الشهوات، وخالف الهوى، واعلم أنّك لن تخلو من عين الله، فانظر كيف تكون؟»[٥].

وقال عليه السلام: «المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيقٍ من الله، وواعظٍ من نفسه، وقبولٍ ممّن ينصحه»[٦].

وقال عليه السلام: «لا تعادي أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسناً

(١) ثواب الاعمال: ص١٨٣، ح١، البحار: ٢٧٦/٧١، ح٥، وسائل الشيعة: ٢٣٢/١٢، ح١، أمالي المفيد: ص٣١٦، ح٨.
(٢) أعلام الدين: ص٣٠٩، البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح٥، أعلام الهداية: ص٢٣٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) البحار: ٣٦٤/٧٥، ح٤، عن الدرة الباهرة، أعلام الهداية: ص٢٤٠.
(٥) تحف العقول: ص٤٥٥، عنه البحار: ٣٥٨/٧٥، ح١، أعلام الهداية: ص٢٣٨.
(٦) تحف العقول: ص٤٥٧، عنه البحار: ٣٥٨/٧٥، ح١، أعلام الهداية: ص٢٣٨.

فإنّه لا يسلمه إليك، وإن كان مسيئاً فإنّ علمك به يكفيكه فلا تُعادِه»[(١)].

وقال عليه السلام : **«القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من اتعاب الجوارح بالأعمال»**[(٢)].

وعنه عليه السلام قال: **«من أطاع هواه أعطى عدوَّه مُناه»**[(٣)].

الدعاء المعارض، التراتيل، المعارضة

لم يزل أئمة أهل البيت عليهم السلام يعانون من مشكلة التضييق بل والمطاردة لطروحاتهم، ولم يزل يعاني أصحابهم من الملاحقة وحبس الأنفاس، وإحصاء تحركاتهم التي تعدّها الأنظمة بأنّها المعارضة الأشدّ عُنفاً في التأثير والنتائج... إلّا أنّ ذلك لا يمنع من ممارسة أنشطتهم وبثّ روح العلم والمثابرة من أجل الوصول إلى الحقائق.. وإذا حُظِر على الحديث ومعارفه فإنّ الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام لم تتوقف جهوده المعرفية، فقد صاغها على شكل أدعية تتعهّد في تقديم أُطروحة أهل البيت عليهم السلام من خلال تراتيل تنبعث في جوف الليل، أو تُلقى في جموع المحتشدين من الناس، أو يأنس بها الإنسان عند عزلته، أو يتوسّل بها المحزون عند وحشته، أو تنفث إلى حشاشته الحَرَّىٰ عند تعسّر حاجته..

هكذا هي أدعية أهل البيت عليهم السلام، وهذه هي تراتيل الصحيفة السجادية، إلّا أنّها لم تكن مجردة عن هدف معرفي يسعى الأئمة إلى تعزيز مفاهيمه وإيداع معارفه في ضمير الأُمّة، ومعنى هذا فإنّ الدعاء سيُحال فضلاً عن كونه عبادةً يتبتّل بها ذوو الحاجات، إلّا أنّه خطاب ثقافي فكري يطرحه أئمة أهل البيت عليهم السلام بعيداً عن

---

(١) اعلام الدين: ص ٣٠٩، عنه البحار: ٣٦٥/٧٥، ضمن ح ٥، اعلام الهداية: ص ٢٤١.
(٢) البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح ٤، عن الدرة الباهرة، أعلام الهداية: ص ٢٤٠.
(٣) اعلام الدين: ص ٣٠٩، عنه البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح ٥، أعلام الهداية: ص ٢٣٩.

توجّسات الدولة ومطاردة النظام، وبهذا فقد حفظ أهل البيت عليهم السلام ـ بالرغم من الظرف السياسي العنيف الذي طاردهم ـ مفاهيمهم المحظورة ضمن أدعية وتوسّلات، فضلاً عن تنبيهات الأُمّة عمّا يحيطها من مخاطر تعمل على إيقاظها، والنظام في هذه الحالة غير قادر على منع هذه الأُطروحات التي تُصاغ على شكل أدعية، ولم يشملها الحظر كما يشمل التعاطي بحديث أحد الأئمة، والتي تعدّه الدولة ترويجاً لأُطروحاته وتبليغاً لشخصه.

والإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام لم يكن بعيداً عن هذه الحالة من الطرح والتبليغ، فقد أعدّ أدعيته لتعطي رؤية في توجّهات الإمام ومفاهيم رسالته، وفي بعض نماذج أدعيته نقرأ بعض هذه الأُطروحات التي صاغها الإمام في صحيفته.. فمن ذلك ما صاغه من الدعاء وبيان مظلوميته عليه السلام وما يعانيه من المضايقة، ومناشدة أتباعه في الوقوف عليها، وهي وثيقة تتناقلها الأجيال ليقرؤوا فيها محنة أهل البيت عليهم السلام ومظلوميتهم ومعاناتهم:

«منائِحُكَ متتابعة، وأياديك متوالية، ونعمك سابغة، وشكرنا قصير، وحمدنا يسير، وأنت بالتعطُّف على من اعترف جدير.

اللهمّ وقد غصّ أهل الحق بالريق، وارتبك أهل الصدق في المضيق، وأنت ـ اللهمّ ـ بعبادك وذوي الرغبة إليك شفيق، وبإجابة دعائهم وتعجيل الفرج عنهم حقيق.

اللهمّ فصلِّ على محمدٍ وآل محمد، وبادرنا منك بالعون الذي لا خذلان بعده، والنصر الذي لا باطل يتكأّده، وأتِحْ لنا من لدنك متاحاً فيّاحاً، يأمن فيه وليك، ويخيب فيه عدوّك، وتقام فيه معالمك، وتظهر فيه أوامرك وتنكشف فيه عوادي

أعدائك[(١)].

اللهمّ بادرنا منك بدار الرحمة، وبادر أعداءك من بأسك بدار النقمة.

اللهمّ أعنّا، وأغثنا، وارفع نقمتك عنّا، وأحِلَّها بالقوم الظالمين»[(٢)].

وفي دعائه بعد أن يُظهر نِعَم الله على عباده ورحمته وفضله، فإنه عليه السلام يطرح معارضته للأنظمة الجائرة ضمن دعائه، ويبيّن ما ارتكبته هذه الأنظمة من جرائم وخروقات وتعدّيات على حقوق أصحاب الحق، وهم الأئمة عليهم السلام وكيف أنهم أُبعِدوا عن حقوقهم وممارستها...

«اللهمّ أنت الأول بلا أوّلية معدودة، والآخرة بلا آخرية محدودة، أنشأتنا لا لعلّةٍ اقتساراً، واخترعتنا لا لحاجة اقتداراً، وابتدعتنا بحكمتك اختياراً، وبلوتنا بأمرك ونهيك اختباراً، وأيّدتنا بالآلات، ومنحتنا بالأدوات، وكلّفتنا الطاقة، وجشّمتَنا الطاعة، فأمرت تخييراً، ونهيت تحذيراً، وخوّلت كثيراً، وسألت يسيراً، فعُصي أمرك فحلمت، وجُهل قدرك فتكرّمت، فأنت ربّ العزّة والبهاء، والعظمة والكبرياء، والإحسان والنعماء، والمنّ والآلاء، والمنح والعطاء، والإنجاز والوفاء.

ولا تحيط القلوب لك بكُنهٍ، ولا تدرك الأوهام لك صفةً، ولا يُشبهك شيء من خلقك، ولا يَمثُل بك شيء من صنعتك.

تباركت أن تُحسّ أو تُمس، أو تُدركك الحواسّ الخمس، وأنّى يدرك مخلوق خالقه؟ تعاليت - يا إلهي - عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

---

(١) في المصدر: «وتنكفّ فيه عوادي عِداتِك».

(٢) مهج الدعوات لابن طاووس: ٨٠، طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٤ هـ ق.

اللهمّ أدِلْ[(١)] لأوليائك من أعدائك الظالمين، الباغين الناكثين القاسطين المارقين، الذين أضلّوا عبادك، وحرّفوا كتابك، وبدّلوا أحكامك، وجحدوا حقك، وجلسوا مجالس أوليائك، جرأةً منهم عليك، وظلماً منهم لأهل بيت نبيك عليهم سلامك وصلواتك ورحمتك وبركاتك، فضلّوا وأضلّوا خلقك، وهتكوا حجاب سترك عن عبادك، واتخذوا ـ اللهمّ ـ مالك دُوَلاً، وعبادك خَوَلاً[(٢)]، وتركوا اللهمّ عالم أرضك في بكماء عمياء ظلماء مدلهمّة، فأعينهم مفتوحة، وقلوبهم عميئة، ولم تبق لهم اللهمّ عليك من حجة. لقد حذّرتَ اللهمّ عذابك، وبيّنت نكالك، ووعدت المطيعين إحسانك، وقدّمت إليهم بالنذر، فآمنت طائفة.

فأيّد اللهمّ الذين آمنوا على عدوّك وعدوّ أوليائك، فأصبحوا ظاهرين، وإلى الحق داعين، وللإمام المنتظر القائم بالقسط تابعين.

وجدّد اللهمّ على عدوّك وأعدائهم نارك وعذابك، الذي لا تدفعه عن القوم الظالمين.

اللهمّ صلِّ على محمدٍ وآل محمد، وقوّ ضعف المخلصين لك بالمحبة، المشايعين لنا بالموالاة، المتبعين لنا بالتصديق والعمل، المؤازرين لنا بالمواساة فينا، المُحيين ذكرنا عند اجتماعهم، وشُدَّ ركنهم، وسدِّد لهم اللهمّ دينهم الذي ارتضيته لهم، وأتمم عليهم نعمتك، وخلِّصهم واستخلصهم.

وسُدَّ اللهمّ فقرهم، والمم اللهمّ شعث فاقتهم، واغفر اللهمّ ذنوبهم وخطاياهم، ولا تُزغ قلوبهم بعد إذ هديتهم، ولا تُخَلِّهم أي ربِّ بمعصيتهم، واحفظ لهم ما

---

(١) الإدالة: الغلبة.

(٢) الخَوَل: واحدة خائل، وهم العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، وخَوَل الرجل: حَشَمه، والخَوَل: ما أعطى الله سبحانه وتعالى للإنسان من النِعَم. لسان العرب ٤: ٢٥٠ (مادة خول).

منحتهم به من الطهارة بولاية أوليائك، والبراءة من أعدائك، إنّك سميع مجيب، وصلّى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين»[١].

هكذا كان الإمام الجواد عليه السلام كآبائه الطاهرين من قبل، يُصدر معارفه إلى الأُمّة عن طريق الدعاء، وهي قنوات أمينة تضمن وصول رؤى الأئمة إلى الناس بعيداً عن توجّسات النظام ومراقبته لتحركاتهم عليهم السلام، وبذلك فقد نجحت انسيابية المعرفة إلى أعماق المجتمع بطريقة لم يكن للنظام أن يمنعها، فهي تراتيل القِدِّيس في أعماق المحن وأغوار النوائب.

«محمد» ... الإمام.. القديس... ذلك المعجز

ولم يقف القوم عند «محمدٍ» الحكيم عند هذا الحدّ من عبقات بلاغته الموروثة من آبائه حتى يُتوِّج عطاءه بالمعجزة الشاهدة على صدق دعواه، أو بالكرامة المؤيدة لمقامه الإلهي...

إنّه «محمد» الإمام.. الحجّة.. القِدّيس الذي يبعث الأمل في نفوس أتباعه، بل في نفوس الكثير حينما ينقطع عنهم حديث القرب إلى الله، وحينما يُحال الزمان إلى خواطر مغامرات القتل والحيل، أو مدّعيات القداسة المزيّفة، أو تتهاوى القيم من أجل كسب قضية يرعاها البلاط ويتدافع عليها فقهاؤه، أُولئك المتسوِّلون على أبوابه، أو المقتنصون رضا الخليفة، أو المزدحمون على عطاء القصر الملوكي في زحمة الفتاوى التي يطلقها الفقهاء إرضاءً لنزوات أسيادهم، أو شهوات الوزراء المدجَّجين بمدى التحايل وخطط المؤامرات، تلتبس على الأُمة مصاديق

(١) حياة أُولي النُهى: ٢٢٧، عن مهج الدعوات: ٨٠ ـ ٨٢.

القداسة، وتختلط عليها حقائق الصدق من تسويلات الدجل، فينفرج الأمر عن «محمد» المعجز، ذلك الإمام الذي جرت على يده الكرامات، وتدحرجت من تحت قدميه مدّعيات بني العباس الذي أوهموا الناس بأحقّية الخلافة دون غيرهم، وتنازع أسلافهم مع أهل الحق، فاحتلبوا شطرها ملأ القعب دماً عبيطاً، كما أشار إلى ذلك عليٌ عليه السلام في تقويمه لتهالك القوم عليها.

وهكذا ينتزع «محمد» الإمام شرعية الخلافة وأحقّية السيادة بما أثبته من أنّه هو القدّيس المعجز...، فضلاً عمّا أثبته لأُولئك المنكرين لإمامته، أو المشكّكين في انتسابه لآبائه الطاهرين.. فأجرى الله على يده كرامات الإمامة ومعجزات الحجة، وكم هي وطيدة الانتساب لكرامات الآباء الميامين يوم كان الأتباع يتطاولون بأمانيّهم أن يريهم الله كراماته في أوليائه، تجري أمامهم وتحدث براهينها كلّما أحوجتهم المحاججة أو الدليل لإثبات أحقّية ما يعتقدونه في أهل البيت فيُفيضون ما أفاض الله عليهم من هذه الكرامة، أو تلك المعجزة، أو ذلك البرهان الذي لا يفتأ في إثبات الحق لأهله..

ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام من أهل هذه المعجزات المنتسبة لآل الله الميامين.. ولربّما يجد البحث طريقه في الكمّ الهائل من كرامات الجواد ومعجزات إمامته؛ لِما تقتضيه ظروف الإثبات والانتساب، فكان محمد عليه السلام سخياً على الملأ من الناس؛ ليفيض بما أفاض الله عليه من الحق والدلالة على النهج القويم. وسنحاول الخوض في عباب هذه الملاحم الجوادية من الكرامة والمعجز والدليل، وما جرى له ـ صلوات الله عليه ـ مع أصحابه ومع غيرهم ممّن توقّفوا في القول بإمامته والبخوع بأحقّيته. وممّا يجدر التنويه إليه أنّ الإمام كان كثيراً ما يقف على ضمائر

الناس وما في نفوسهم بفراسة تزيل الشك، وتقتلع الشبهة، وتهدي إلى الصراط المستقيم.

الإمامة وصغر السنّ

علي بن إسماعيل، عن محمد بن عمر، عن علي بن أسباط، قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام قد خرج عليَّ، فأحددت النظر إليه وإلى رأسه وإلى رجله لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فخرّ ساجداً وقال: إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ في النبوة، قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1]، وقال الله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾[2] ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[3] فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنة[4].

وراثةٌ عيسوية

عن أحمد بن محمد الحضرمي، قال: حج أبو جعفر عليه السلام، فلمّا نزل زبالة فإذا هو بامرأة ضعيفة تبكي على بقرة مطروحة على قارعة الطريق، فسألها عن علة بكائها؟ فقامت المرأة إلى أبي جعفر عليه السلام وقالت: يا ابن رسول الله، إنّي امرأة ضعيفة لا أقدر على شيء، وكانت هذه البقرة كلّ ما أملكه، فقال لها أبو جعفر عليه السلام: «إن

(١) مريم: ١٢.
(٢) يوسف: ٢٢.
(٣) الإحقاف: ١٥.
(٤) بصائر الدرجات: ص٢٥٨، ح١٠، عنه البحار: ٢٥/١٠٠، ح١، و ٥٠/٣٧، ح١، الكافي: ١/٣٧٤، ح٧.

أحياها الله تبارك وتعالى لكِ فما تفعلين؟» فقالت: يا ابن رسول الله، لأُجدّدنّ لله شكراً.

فصلّى أبو جعفر ركعتين ودعا بدعوات، ثم ركض برجله البقرة فقامت البقرة، وصاحت المرأة: عيسى بن مريم، فقال أبو جعفرعليه السلام: **«لا تقولي هذا، بل عباد مكرمون، أوصياء الأنبياء»**(١).

وقد حرص أبو جعفر ـ صلوات الله عليه ـ أن يؤكد للمرأة إنّما يكون إحياء البقرة راجعاً لله تعالى، ونحن عباد مكرمون، وحاول الإمامعليه السلام أن يؤكد أنّهم أوصياء أنبياء؛ لئلّا يتوهم السامع شيئاً وراء ذلك يُساء فهمه، وهم أوصياء الأنبياء بمعنى ورثتهم، وإلّا فهم أعظم مقاماً من الأنبياء؛ لأنّهم ورثة خاتم الأنبياء.

شهادة الزور

روي عن ابن أروبه أنّه قال: إنّ المعتصم دعا جماعة من وزرائه فقال: اشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى زوراً واكتبوا أنّه أراد أن يخرج، ثم دعاه فقال: إنّك أردت أن تخرج عليَّ.

فقالعليه السلام : **«والله ما فعلت شيئاً من ذلك»**.

قال: إنّ فلاناً وفلاناً شهدوا عليك، فأُحضروا فقالوا: نعم، هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك!

قال: وكان جالساً في بهوٍ، فرفع أبو جعفرعليه السلام يده وقال: **«اللهمّ إن كانوا كذبوا عليَّ فخذهم»**.

---

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة: ٥٠٣.

قال: فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يرجف ويذهب ويجيء، وكلّما قام واحد وقع!

فقال المعتصم: يا ابن رسول الله، إنّي تائب ممّا قلت، فادعُ ربّك أن يسكنه!

فقال عليه السلام: **«اللهمّ سكّنه، إنّك تعلم أنّهم أعداؤك وأعدائي»** فسكن[1].

نعم... عندي سلاح رسول الله

روى بكر بن صالح، عن محمد بن فضيل الصيرفي، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام كتاباً، وفي آخره: هل عندك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ونسيت أن أبعث بالكتاب، فكتب إليّ بحوائج، وفي آخر كتابه **«عندي سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل يدور معنا حيث درنا، وهو مع كل إمام»**[2].

المداراة خير من المكاشفة

أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن بكر بن صالح، قال: كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام: أنّ أبي ناصب خبيث الرأي، وقد لقيت منه شدّة وجهداً، فرأيك ـ جعلت فداك ـ في الدعاء لي، وما ترى جعلت فداك، أفترى أن أُكاشفه أم أُداريه؟

فكتب عليه السلام: **«قد فهمت كتابك وما ذكرت من أمر أبيك، ولست أدعُ الدعاء لك إن شاء الله، والمداراة خير لك من المكاشفة، ومع العسر يُسرٌ، فاصبر إنّ العاقبة للمتّقين، ثبّتك الله على ولاية من تولّيت، ونحن وأنتم في وديعة الله التي لا تضيع ودائعه»**.

---

(١) الخرائج و الجرائح: ٢/ ٦٧٠، ح١٨، عنه البحار: ٥٠/ ٤٥، ح١٨.

(٢) الخرائج و الجرائح: ١/ ٣٨٧، ح١٦، عنه البحار: ٥٠/ ٥٣، ح٢٧، العوالم: ٢٣/ ٨٧، ح١٢.

قال بكر: فعطف الله بقلب أبيه حتى صار لايخالفه في شيء[١].

إحباط مخططات النظام

محمد بن الريّان قال: احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة، فلم يمكّنه في شيء، فلمّا اعتلّ وأراد أن يبني عليه ابنته دفع إليَّ مائة وصيفة من أجمل ما يكنَّ، إلى كل واحدة منهنَّ جاماً فيه جوهر يستقبلون أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأختان، فلم يلتفت إليهنَّ.

وكان رجل يقال له: مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية، فدعاه المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشهق مخارق شهقةً اجتمع إليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنّي، فلمّا فعل ساعة وإذا أبو جعفر عليه السلام لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثم رفع رأسه إليه.

وقال عليه السلام: **«اتّقِ الله يا ذا العثنون!»**.

قال: فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيده إلى أن مات.

قال: فسأله المأمون عن حاله؟ قال: لمّا صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً[٢].

وكأنّ احتياله لإدخاله فيما فيه من اللهو والفسوق. وبنى على أهله بناءً: زفها. والعُثْنون: اللحية، أو ما فضل منها بعد العارضين، أو ما نبت على الذقن وتحته

---

(١) أمالي المفيد: ص١٩١، ح٢٠، عنه مستدرك الوسائل: ١٧٨/١٥، ح١، البحار: ٧٩/٧١، ح٧٩، و ٥٥/٥٠، ح٣٠.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤٢٧/٤، عنه البحار: ٦١/٥٠، ح٣٧.

سُفلاً، أو هو طولها. والعُثُنون أيضاً: شعيرات تحت حنك البعير[١].

ولا يهمّنا سرد معجزاته، فهي أكثر من أن تحصى، وقد أعرضت عن تعدادها لعلمي أنها لا يستوعبها مختصر استطرد فيه بعض سيرته، فآثرت العدول عن سردها لكثرتها، ووجدتُ أنّه عليه السلام قد اختصّ بكثرة المعاجز وتعداد الكرامات، ويبدو أنّ متطلّبات عصره التشكيكي بإمامته المبكرة اقتضت إظهار كراماته بهذا الكمّ الهائل، تأكيداً للحجّة، وإتماماً للبينة التي يتطلّبها مقام إمامته الذي كثر التساؤل عن إمكانيته وهو لا يزال ابن العاشرة أو دونها، ممّا حدا بالبعض أن يتوقف إن لم يتساءل، أو يتساءل إن لم يشكّك، أو يشكّك إن لم يعارض، وهكذا تضطرب مفاهيم الناس بإمامته عليه السلام، وتعتور الأذواق بإمكانية أدائه لمهمّة آبائه الذين تصدّوا للإمامة في سنٍّ اعتاد عليه الناس، وألفته العامة، واستأنس في أهليته الجميع.

ولم يكن محمد بن علي الجواد عليهما السلام ذلك الإمام الثماني من العمر قد اختلف فيه الجميع، بل قبله مَن عرفه، وأثنى عليه مَن خالطه، وأكبره مَن سمع منه، وآمن به مَن جالسه، واعتقد فيه مَن شاهده، ولكأنّي أجد سرد الفضائل فضولاً من القول، فخشيت الإطالة وآثرت الإيجاز، وتوسّلت بمآثر الثناء، وتقاريض المدح، والإمام أرفع من أن يُعرف قدره بمدح المادحين، وإطراء الحامدين له، إلّا أنّ ذلك من مجريات البحث ومطاوي الكلام، وعزمت استعراض بعض ما حضرني من كلمات الثناء وجمل التقريض.

روى الشيخ المفيد بسنده عن الريان بن شبيب ما نقله عن المأمون: وأمّا أبو

---

(١) البحار: ٥٠/٦٢ بيان.

جعفر محمد بن علي عليهما السلام قد اخترته لتبريزه على كافة أهـل الفـضل فـي العـلم والفضل مع صغر سنّه، والأُعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيت فيه.

فقال بنو العباس: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدّب ويتفقّه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم! إنّي أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيت عِلمهم من الله، وموادِّه وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الديـن والأدب عـن الرعـايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به بما وصفت من حاله....[(١)].

وفي وصيته لابنته: يا بنية، احتمليه فإنّه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله[(٢)].

وما نقله الطبرسي عن موقف المأمون من الإمام بقوله: وكان المأمون مشغوفاً بأبي جعفر عليه السلام لِما رأى من فضله مع صغر سنّه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل.. وكان متوفّراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره[(٣)].

وعن ابن الصباغ المالكي: قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: مناقب أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام ما اتسعت جلبات مجالها، ولا امتدّت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقائه في الدنيا بحكمها وسجالها، فقلّ في الدنيا مـقامه، وعجّل عليه فيها حِمامه. فلم تطل لياليه ولا امتدّت أيامه، غير أنّ الله خصّه بمنقبة أنوارها متألقة فـي مـطالع التـعظيم، وأخـبارها مـرتفعة فـي مـعارج التـفضيل

(١) الإرشاد ٢: ٢٨٢.
(٢) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام ١: ٣٦٢.
(٣) نفس المصدر.

والتكريم[١].

وقال الشبلنجي: وإن كان (الجواد عليه السلام) صغير السنّ، فهو كبير القدر، رفيع الذكر، ومناقبه عليه السلام كثيرة[٢].

وما نقله ابن شهر آشوب، عن الأسقف الذي رأى الإمام عليه السلام، فقال: يوشك أن يكون هذا الرجل نبياً أو من ذرّية نبي[٣].

هذه شهادة مَن شاهد «محمداً» وعرف مكارمه، وسمع مناقبه، فألجأه الإعجاب إلى التقريض فيه، وآذنه الإكبار للثناء عليه، ودعاهُ الإكرام إلى التبجيل والتعظيم، وهو بعد ذلك لحمة رسول الله وبضعته ووريثه، فيتصاغر عند ذلك كل ثناءٍ وذكرٍ كبير.

النهاية المؤسفة.. وفتوى فقهاء الإرهاب...

ومن المؤسف أن تصل التنافسات بين فقهاء البلاط للوصول إلى حظوة القرب من الخليفة العباسي بأن تُحاك ضد الإمام المؤامرات لتصفيته بعد أن رأوا أنّه عليه السلام قد اكتسح وجودهم المهزوم، بعدما اعتقد الخليفة بأعلميته وأنّه حاز من العمل ما لم يكن أحد منهم قد حازه وحباه الله به واجتباه، وكان العمل قائماً على التنافس بين علماء البلاط لإثبات أيِّهم أصلح وأوفق لخدمة السلطان، وإذا ما هدّد وجوده مقامَهم العلمي ـ في نظر السلطان ـ وأخّرهم عن رتبة التقدم فإنّهم يسعون لاتخاذ أيِّ إجراء يضمن إبقاءهم على هيبتهم، أمّا إذا كسرت هيبة هؤلاء المتدافعين على

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٦٦.

(٢) نور الأبصار: ٣٢٦.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٨٤.

مكانتهم لدى البلاط فإنّهم لا يتأخّرون عن التآمر والانتقام من أجل الإبقاء على مكانتهم، وبما أنّ الإمام الجواد عليه السلام يبقى منافس فقهاء البلاط فإنّ هؤلاء لم يجدوا بعده عليه السلام هذا غير تأخّرهم عن رتبتهم الرسمية، فهم إذن بعد ذلك لابد أن يستعيدوا مقامهم المفقود من أعلمية «محمد بن الرضا» والمنافس لهم في منتدياتهم العلمية، فيدبّروا التآمر عليه وتصفيته، والانتقام لكرامتهم المفقودة في أروقة البلاط، والمناظرة التالية تتيح ـ في نظر هؤلاء ـ أن يتفقوا على تصفية الإمام الجواد عليه السلام وقتله:

روى العيّاشي في تفسيره بإسناده عن زرقان صاحب ابن أبي داوود قال: رجع ابن أبي داوود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنّي قدِمت منذ عشرين سنة، قلت له: ولم ذاك؟

قال: لِما كان من هذا الأسود[١] أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين.

قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟

قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي.

فسألنا عن القطع في أيٍّ موضعٍ يجب أن يُقطع؟

قال: فقلت: من الكرسوع.

قال: ما الحجة في ذلك؟

قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع، والكفّ إلى الكرسوع لقول الله في التيمم

---

(١) هكذا يلقبون الإمام الجواد عليه السلام لشدّة سمرته؛ تنكيلاً به وحقداً عليه.

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[١]، واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأنّ الله لمّا قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[٢] في الغسل دلَّ ذلك أنّ حدّ اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال عليه السلام: **«قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين»**.

قال: أقسمت عليك بالله لَما أخبرت بما عندك فيه.

فقال عليه السلام: **«أمّا إذا أقسمت عليّ بالله، إنّي أقول: إنهم أخطؤوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أُصول الأصابع، فيترك الكفّ»**.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: **«قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[٣]، يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[٤]، وما كان لله لن يقطع»**.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) الجنّ: ١٨.

(٤) الجن: ١٨.

قال ابن أبي داوود: قامت قيامتي وتمنّيت أنّي لم أكن.

قال ابن أبي زرقان: إنّ ابن أبي داوود قال: صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت: إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليَّ واجبة، وأنا أُكلّمه بما أعلم أنّي أدخل به النار.

قال: وما هو؟

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أُمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه وكتّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأُمّة بإمامته، ويدعوه أنّه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء.

قال: فتغير لونه وانتبه لِما نبّهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر اليوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله، فدعاه، فأبى أن يجيبه، وقال: قد علمت أنّي لا أحضر مجالسكم.

فقال: إنّي إنّما أدعوك إلى الطعام وأُحب أن تطأ ببابي[1] وتدخل منزلي فأتبرّك بذلك، فقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك.

فصار إليه، فلمّا طعم منها (أي من الطعام) أحسَّ السُمّ، فدعا بدابّته، فسأله ربّ المنزل أن يقيم.

قال: خروجي من دارك خير لك.

فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفة[2] حتى قبض[3].

---

(١) وفي رواية: تطأ ثيابي.

(٢) الخلفة: الإسهال.

(٣) مدينة المعاجز: ٥٣٥ ـ ٥٣٦ عن كتاب حياة أُولي النهى: ٢١١ ـ ٢١٣.

هذه هي مؤامرات النظام العباسي وفقهائه، فهم بعد أن دعوه وعزموا عليه الإجابة غاضهم تقدمه على جميع فقهاء البلاط، وعلموا أنّ ذلك سيكون سبباً في تفاقم أمره عند المسلمين، واعترافهم بأنّ شطر هذه الأُمة تقول بإمامته وهذا دليل على أنّ الأُمّة تنصاع للإمام عليه السلام معتقدةً بإمامته وأهليته للخلافة دون بني العباس، ومجرد احتمال الجهاز العباسي من تأثير الإمام في الأُمّة، واحتمالية أن تكون مجريات الأُمور لصالح الإمام فإنّ الخليفة العباسي لم يمهله حتى أمر بتصفيته فوراً؛ دون أدنى انتظار وحساب لأي العواقب المترتبة على هذا التصرف الطائش.

وبالرغم من كون الإمام الجواد يمثّل الخطّ المنافس لخطّ فقهاء البلاط فإنّ المعتصم حسم الفتوى لصالح قول الإمام عليه السلام، وكأنّ المعتصم لم يرتضِ أقوال هؤلاء الجمع من فقهاء الدولة؛ لِما يستبين الرشد برأي الإمام عليه السلام، فالإمام من بيت زُقّوا العلم زقّاً، واجتباهم الله بأسرارٍ خصّهم بها وحباهم.

الخطاب الأدبي الشيعي في خضمّ تداعيات الصراع العباسي

لم يقف جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول في حدود النضال السياسي الذي التزمه أتباع أهل البيت عليهم السلام، بل تعدّى إلى المقاومة الثقافية والفكرية.

فالعباسيون بالرغم من انتسابهم إلى شعار «الرضا من آل محمد» من أجل تسويق حركتهم لدى العامة، إلّا أنّهم تحرّكوا باتجاه المعارضة الفكرية للمذهب العلوي الذي يتزعّمه آل البيت عليهم السلام، وجعلوه منافسهم الوحيد الذي يحسب له حسابه، وبالرغم من الاعتناء بالمنحى الأدبي لهذا العصر ومباراة شعرائه في مديح الخلفاء العباسيين، إلّا أنّ حالة حذرٍ شديدٍ أصابت الجهد الأدبي الشيعي إبّان تلك

الفترة الحرجة.

فالعباسيون يرون أنّ منافسيهم من العلويين أوفر حظّاً لدى الأُمّة، وهم يحاولون إثبات خلافتهم بما يتيح لهم قطع الطريق على آل علي وشيعتهم من المطالبة بأحقّية الخلافة، ويعملون على نشر ثقافة الانتساب التي من شأنها أن تنقل العباسيين من أتباع إلى متبوعين، بمعنى أنّ دعوى الانتساب لأهل البيت قد أخذت مسارها في الثقافة العباسية، واستمكنت هذه الثقافة من الخطاب العباسي الذي برمجه أبو جعفر المنصور، وقدّمه على أنّه الفلسفة الفكرية والخطاب الرسمي للدولة العباسية القائمة على التنافس للعلويين، لذا كانت سمة الخطاب العباسي يؤطِّره المنصور ومَن عقبه «بأننا أهل البيت»، أملاً في أن تكون ثقافة الانتساب هذه قد أخذت محلّها من قلوب العامّة، إلّا أنّ ذلك لم يؤثر أثره في قناعة المسلمين، فالانتساب الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام غير الانتساب السياسي لهم، والمسلمون كانوا يتعاطون مع هذا الخطاب بأنّه الخطاب السياسي الذي لا يقوى على الصمود أمام التحدّيات الحقيقية للانتساب الواقعي لآل البيت عليهم السلام..

إلّا أنّ هذا الخطاب لم يقف على مستوى التسويق السياسي بقدر ما هو سياسة تصفية الخصوم والمنافسين، فالعلويون الأوفر حظّاً في التطلّعات التي تحملها العامة حيال قضية الخلافة وكونهم الأجدر في الأهلية لهذا المنصب الإلهي، نجد أنّ العباسيين على مستوى التأييد العام تتراجع شعبيتهم بعد ما اكتشفوا سياسة التنكيل والقتل التي استخدمها المنصور قبالة الوجود العلوي، الذي كان سبباً في إنجاح عملية الثورة والانقلاب على الحكم الأُموي، على أمل أن يكون للعلويين حظوة الحكم ومسؤولية الدولة الجديدة، أو على أقلّ تقدير سيكون هناك متنفّس

من شأنه أن يعطي للعلويين حرية التحرك الطبيعي ضمن النظام العام، في حين يجد المسلمون أنّ العلويين صاروا الأكثر اضطهاداً وتنكيلاً إبّان خلافة العباسيين، وحسابات العامة لم توفّق في ظلّ العنف العباسي ضدّ أبناء عمومتهم العلويين حينما ظنّوا بأنّ العباسيين مؤهّلين لرفع الحيف عن آل علي واسترداد حقوقهم وإعادة اعتبارهم المسلوب.

وتتفاقم أزمة التنافس السياسي بين العباسيين وبين معارضيهم من آل علي، حتى يصل ألأمر إلى مصادرة الحقائق التاريخية؛ وذلك من خلال ما بذلته الدولة العباسية من دعاوى استحقاق الخلافة وعدم مصداقية الوراثة لآل علي، وجعلت إعلامها موجّهاً بحملته في أدبياتها العامة من أنّ الاستحقاق لخلافة النبي صلى الله عليه وآله هي لبني العباس دون آل على، وأنّ دعاوى العلويين في الخلافة غير ثابتة، ويمكن ردّها بما يتسنّى شعراء البلاط من تقديم الخطاب السياسي على أساس شعري يتغنّى به في محافلهم الرسمية.

ففي بدايات العصر العباسي يشتدّ الصراع حول فلسفة الخلافة، ويشعر العباسيون أنّ العلويين يهدّدون وجودهم بالشرعية التي يمتاز بها آل علي في أحقّية الخلافة، ولم يجد العباسيون من أُسلوب رادع لأُطروحات العلويين غير الأُسلوب الاستباقي في محاولة تزوير الحقائق ومصادرة تلك المبادئ التي تعارف عليها المسلمون من كون الخليفة الشرعي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو علي بن أبي طالب، في حين يُعدُّ بنو العباس في مرتبة متأخرة من استحقاق الخلافة، وهم اليوم يتصدّون لذلك ويجعلون أنفسهم الأحق والأولى بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله دون غيرهم، وهي محاولات تحتاج إلى جهدٍ استثنائي في تغيير مسارات المفاهيم

العامة للخلافة الإسلامية، لذا فإنّ الجهد الأدبي كان المتقدم في مخاض هذا التثقيف العكسي الذي يتزعّمه أُدباء البلاط، ولعلّ نموذج هذا العنف الفكري في فرض أُطروحة الدولة يتزعّمه مروان بن أبي حفصة، الذي كانت قصيدته بمثابة الخطاب الرسمي المتشدّد الذي فرض رؤى العباسيين في الخلافة بقوله:

أنّىٰ يكون وليس ذاك بكائِنٍ — لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ؟

فكان ذلك الطرح مؤثّراً على المستوى العام في المفهوم الثقافي التأسيسي لأُطروحة الخلافة، ممّا دعا شعراء الشيعة وهم في أوج الدفاع عن عقيدتهم وحقوق أئمتهم أن يتصدّوا لهذا الطرح والادّعاء؛ لذا فإنّ جعفر بن عفّان الطائي الشاعر الكوفي المعاصر للإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ المتوفّى سنة ١٥٠هـ ـ انتفض بقصيدته المعروفة للردّ على تخرّصات ابن أبي حفصة، فقال:

لِمَ لا يكون وإنّ ذاك لكائن — لبني البنات وراثة الأعمام؟

للبنت نصفٌ كاملٌ من ماله — والعمّ متروك بغير سِهام

ما للطليق وللتراث وإنّما — صلّى الطليق مخافة الصِمصام(١)

ولعلّ ما قاله مروان ابن أبي حفصة قد أخذ مأخذه حتى بعد عقود، فكان أئمة آل البيت عليهم السلام يزعجهم هذا التهوّر في قلب الحقائق، والسعي من أجل تغيير مسارات المفهوم الإسلامي في الخلافة، فالإمام الرضا يستذكر هذه الحادثة فيقول بعد أن دخل عليه جماعة فرأوه متغيّراً، فسألوه عن ذلك؟ قال:

بِتُّ ليلتي ساهراً متفكراً في قول مروان بن أبي حفصة، وذكر البيت المتقدم قال: ثم نمت فإذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول:

---

(١) أدب الطفّ ١: ١٩٣، عن الأغاني ٩: ٤٥.

أنّـى يكـون وليس ذاك بكـائن — للـمشركين دعـائم الإسـلام
لبني البنات نصيبهم من جـدّهم — والعـمّ مـتروك بـغير سـهام
مـا للـطليق وللـتراث وإنّـما — سجد الطـليق مخافة الصِمصام
قـد كـان أخـبرك القـران بـفضله — فمضى القـضاء بـه مـن الحكّـام
إنّ ابـنَ فـاطمةَ المـنوَّه بـاسمه — حاز الوراثـة عـن بـني الأعـمام
وبـقى ابـن نـثلة واقـفاً مـتردّداً — يبكي ويسـعده ذوو الأرحـام(١)

ولم تكن دعوى العباسية بالاستحقاق الوراثي حديثة عهد في زمـن الإمـام الصادق عليه السلام أي إبّان بدايات العهد العباسي، بل أوعز أحد المحقّقين ـ وهو صاحب كتاب أدب الطفّ ـ إلىٰ أنّ المعنى هذا لم يكن من ابتكار مروان ابن أبي حفصة، بل هو قد تسرَّب إليه من أحد موالي تمام بن معبد بن العباس بن عبدالمطّلب، حيث كان يخاطب به الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، فيقول له:

جـحدت بـني العـباس حـقّ أبـيهم
فما كنت في الدعوى كريم العـواقب
مـتى كـان أولاد البـنات كـوارثٍ
يحوز ويُدعى والداً في المـناسب(٢)

وهو يعني أنّ هذا الخطاب العباسي كان مبكّراً جداً، أي بعيد شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفي خلافة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، بالرغم من أنّ تـقارباً فـي وجهات النظر بين العباسيين وبين آل علي ـ عدا ما ارتكبه عبيدالله بن العباس من

---

(١) أدب الطفّ ١: ١٩٤.
(٢) راجع أدب الطفّ ١: ١٩٤ ولعل ذلك تفرّد به المحقق السيد جواد شبر في إرجاع مروان بن أبي حفصة بسرقته إلى مولى تمام.

خيانته المعروفة مع الإمام الحسن عليه السلام ـ كان موجوداً، أي أنّ نزعة الخلاف على وراثة النبي وخلافته مبكّرة جداً تحظى بنزعة عباسية مبيّتة؛ أخذت متنفّسها إبّان العهد العباسي، وعند اشتداد التنافس بين البيتين. وفي القرن الثالث الهجري ـ وهو أوج التنافس العلوي العباسي ـ تشتدّ لهجة محاولات تفيد الاستحقاق الوراثي لخلافة النبي صلى الله عليه وآله من قبل الخطاب الرسمي العباسي، والذي يمثّله بأعنف صوره الخليفة العباسي عبد الله بن المعتزّ، الذي أنشد قصيدته المعروفة التي ينكر من خلالها استحقاق آل البيت وراثة النبي، وأنّهم هم الأقرب في هذا الاستحقاق، فقال في بعض قصيدته:

ألا من لعيني وتسكابها ... تشكي القذا وبكاها بها

ترامت بنا حادثات المنو ... ن ترامي القِسيّ بنشّابها

ويا ربَّ ألسنة كالسيو ... ف تقطع أرقاب أصحابها

ويقول فيها:

ونحن ورثنا ثياب النبي ... فكم تجذبون بأهدابها

لكم رحم يا بني بنته ... ولكن بنو العمّ أولى بها

ومنها:

قتلنا أُميةَ في دارها ... فنحن أحقُّ بأسلابها

إذا ما دَنَوتُم تلقّيتُمُ ... زبوناً أقرَّت بجلّابها

وهو يحاول أن يجرِّد العلويين من حقوقهم في الخلافة، ويفتخر في الثورة على الأُمويين، وبذلك فهم ـ على حدّ تعبيره ـ أحقّ بالاستيلاء على الخلافة بعد الأُمويين.

وقد تحدثنا في بداية البحث بأنّ إسقاط الدولة الأُموية هي مبادرة علوية وفكرة اختصّ بها أبو هاشم محمد بن الحنفية، وتكلّمنا عن ذلك بإسهاب. ومحاولة عبدالله بن المعتزّ في تحويل الخلافة بحسب دعواه من آل علي إلى آل العباس دعوى خطيرة؛ إذ تتحدث عن الخطاب الرسمي العباسي الذي التزمه هذا الشاعر الخليفة.

ويبدو أنّ الردود على هذه الدعوى كانت كثيرة، إلّا أنّها مكتّمة لم تر النور، ولم تستطع البوح والانتشار إلّا بعد أربعة قرون حين تصدّى الشاعر صفيّ الدين الحلّي (٦٧٧ ـ ٧٥٢هـ) من الردّ على دعوى ابن المعتزّ ليجاري قصيدته بقصيدة طويلة يقول فيها:

ألا قُل لشرّ عبيد الإله … وطاغي قريشٍ وكذّابها

وباغي العباد وباغي العنا … د وهاجي الكرام ومغتابها

أأنت تفاخر آل النبي … فتجحدها فضل أحسابها؟!

بكم باهل المصطفى أم بهم … فردّ العداة بأوصابها

أعنكم نفى الرجس أم عنهم … لطهر النفوس وألبابها

أم اللهو والخمر من دأبكم … وفرط التلاوة من دابها؟

وقلت: ورثنا ثياب النبي … فكم تجذبون بأهدابها؟

وعندك لا يورث الأنبياء … فكيف حضيتم بأثوابها؟!

فكذّبت نفسَك في الحالتين … ولم تنهَ نفسَك عن عابها

أجدُّك يرضى بما قلته … وما كان يوماً بمرتابها

وكان بصفّين من حِزبهم … لحرب الطغاة وأحزابها؟!

إلى أن يقول:

وصلّى مع الناس طول الحياة وحيدر في صدر محرابها
فهلّا تقمّصها جدّكم إذا كان إذ ذاك أحرى بها
وإذ جعل الأمر شورى لهم فهل كان من بعض أربابها؟
أخامسهم كان أم سادساً وقد جليت بين خطابها؟
وقولك أنتم بنو بنته ولكن بنو العمِّ أولى بها
بنو البنت أيضاً بنو عمّه وذلك أدنى لأنسابها
فدع في الخلافة ذكر الخلا ف فلست ذلولاً لِرِكابها
وما أنت والفحص عن شأنها؟ وما قمّصوك بأثوابها
وما ساورتك سوى ساعة فما كنت أهلاً لأسبابها
وكيف يخصّوك يوماً بها ولم تتأدّب بآدابها؟!
وقلت بأنكم القاتلون أُسود أُمية في غابها
كذِبتَ وأسرفتَ فيما ادّعيت ولم تنهَ نفسَك عن عابها
فكم حوالتها سراة لكم فردّت على نكص أعقابها
ولولا سيوف أبي مسلم لعزّت على جهد طلّابها
وذلك عبد لهم لا لكم رعى فيكم قرب أنسابها
وكنتم أُسارى ببطن الحبوس وقد شفّكم لثم أعتابها
أفأخرجكم وحباكم بها وقمّصكم فصل جلبابها
فجازيتموه بشرِّ الجزاء لطغوى النفوس وإعجابها
فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف وجاؤوا الخلافة من بابها

هم الزاهدون هم العابدون ... هم الساجدون بمحرابها
هم الصائمون هم القائمون ... هم العالمون بآدابها
هم قطب ملة دين الإله ... ودور الرحى حول أقطابها
عليك بلهوك بالغانيات ... وخلِّ المعالي لأصحابها
فذلك شأنك لا شأنهم ... وجري الجياد بأحسابها(١)

إنّ هذه القصيدة من القصائد المهمة التي أوضحت التطرف في الخطاب الرسمي العباسي، الذي حاول إحالة مسألة الخلافة إلى قضية سياسية تنافسية يراد من خلالها إقصاء المنافسين لهم؛ وذلك في محاولة إزواء العلويين عن حقوقهم في الخلافة.

كانت قصيدة صفيّ الدين الحلّي تمثّل الخطاب العقائدي للأُمّة الإسلامية، والذي من خلاله يحاكم ابن المعتزّ على تطرّفه في نفي كثير من الحقائق، وادّعاء ما لا يمكن أن يصمد أمام أدنى مراجعة تاريخية.

فصفيّ الدين الحلّي يحاجج ابن المعتزّ بمواقف جدّه العباس بن عبد المطلب الذي، رفض أن يكون طرفاً في الخلافة مع وجود الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بل سعى العباس أن يدعم موقف ابن أخيه علي بعرض المبايعة عليه، وسيكون العباس قد أكد خلافة علي عليه السلام كونه شاهداً قوياً في استحقاق علي للخلافة بوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّ رفض عليٍّ لهذا العرض كان محسوباً له حسابه وهذه الطريقة من المبايعة السرية بل والأُسَرية مرفوضة في مفهوم عليّ عليه السلام، فهو كما أعلن النبي صلى الله عليه وآله عن خلافته في غدير خمٍّ أمام الملأ من المسلمين؛ فإنّ تجديد

(١) معجم شعراء الحسين عليه السلام ١: ٤٦١.

بيعته في الأحداث الساخنة من انعقاد السقيفة وتربّص الآخرين لمنصب الخلافة أبعد علياً ان يخوض مع الخائضين في إثبات حقه بالخلافة، وأرادها اختيارية بإرادة الجميع أو الأكثر على الأقلّ، دون أن تتدخّل الإرادات الشخصية في قضية تفوّق السعي الأُسَري أو التنافس القبائلي، وهكذا نجح عليّ عليه السلام في عدم الانجرار بهذه التسابقات الخاسرة، وأبقى قضية الخلافة فوق كل الاعتبارات، وكونها قضية إلٰهية بوصية السماء.

ثم يحتج الحلّي بالقرب النسبي الذي جعله ابن المعتزّ حجة له، وأثبت أنّ آل عليٍّ عليه السلام هم الأقرب نسباً وحسباً، فهم أولاد بنت وأبناء عمومة، فلا يعدّون الأباعد نسبة لأبناء عمومته صلى الله عليه وآله.

ومن الطريف أنّ صفيّ الدين الحلّي يذكر ابن المعتزّ بأنّه ليس أهلاً في المحاججة بالخلافة، فهو أضعف من أن يكون مطالباً بها وهو لم يستلمها سوى ساعة، إشارة إلى قصة خلافته التي دامت يوماً واحداً فقط، وهي أقصر مدة لخليفة عباسي يستلم الخلافة بعد المقتدر الذي ثار عليه الأتراك ونصبوا مكانه ابن المعتزّ الملقب بالمرتضى بالله، ثم أرجع الأتراك المقتدر في اليوم الثاني وأُلقي القبض على ابن المعتزّ وأُودِعَ في السجن، ثم قُتل صبراً، وبذلك فإنّ صفي الحلي يلغي عن ابن المعتزّ إمكانية الاستحقاق لمنصب الخلافة فضلاً عن إمكانية الدفاع عن بني أبيه في استحقاقهم للخلافة دون آل عليّ عليه السلام.

والقصيدة كذلك تُبعد إمكانية العباسيين عن استلام الخلافة لولا جهود أبي مسلم الخراساني، الذي قدّم لهم إمكانياته في الوصول إلى الخلافة بسبب ما كان يعتقده أبو مسلم من قرب العباسيين لآل علي عليه السلام، فهو رعاية لحق العلويين ـكما

عليه أكثر المؤرخين مع تحفّظنا على هذا الاتجاه، وليس هنا محل ذكره ـ عمل أبو مسلم على إيصال العباسيين إلى هذه الخلافة، ثم هم لم يكافئوه إلّا بالقتل والتنكيل، وكأنّ الغدر كان لهم شيمة وعادة، والظاهر أنّ الحلّي لم يُرد بذلك الدفاع عن أبي مسلم بقدر ما أراد إدانة العباسيين في كون تصفية الخصوم بل وحتى الحلفاء لأدنى خلاف.

تلك هي سياسة عباسية متأصلة لا يمكن الغضّ عنها ضمن معطيات تعاملهم مع الخصوم السياسيين والعقائديين، وآل علي يمثّلون كِلا التوجّهين في المخاصمة العقائدية والمنافسة السياسية مع العباسيين، فحال أبي مسلم الخراساني الحليف القوي مع العباسيين ـ والذي كان سبباً رئيساً في وصولهم إلى الحكم ـ مصيره القتل لمجرد الشك في ولائه وانحراف توجّهاته عنهم، فكيف بحال آل عليٍّ الأكثر تأثيراً على العباسيين في منافساتهم ومعارضتهم لهم؟!

وجهد آخر يستحقّ الوقوف لديه، وهو ما قدّمه العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ـ حفيد العباس بن علي شهيد كربلاء ـ من محاولة أدبية موفّقة يستعرض فيها صلاحية العلويين، وأنّهم هم مفخرة قريش، فإذا كانت لقريش مفخرة في انتساب العلويين لهم، وهو خطاب يستبطن المعارضة العنيفة للجهد العباسي الذي تزعمه أُدباء البلاط في غضون عصر الرشيد العباسي الذي كان يحسب لهذا الأديب الهاشمي حسابه، وبذلك فسيكون شعره في هذا الخصوص خطاباً رسمياً علوياً يوقف محاولات العباسيين في المفاخرة ودعوى استحقاق الخلافة، فيقول:

وقالت قريش لنا مفخر رفيع على الناس لا ينكر

فـقد صـدقوا لهـم فـضلهم | وبـيـنهم رتب تـقصر
وأدنـاهم رحـماً بـالنبي | إذا فـخروا فَـبِهِ المـفخر
بنا الفخر منكم عـلى غـيركم | فـأمّا عـلينا فـلا تـفخروا
فـفضل النـبي عـليكم لنـا | أقـرّوا بـه بـعدما أنكـروا
فـإن طِـرتُمُ بسـوى مـجدنا | فـإن جـناحكم الأقـصر[1]

وهي أبيات يظهر فيها أحقّية العلويين وتقدّمهم على غـيرهم، وأنّ كـل فـخر وحسب ونسب فهو دونهم.

إذن فالخطاب الأدبي الشيعي إبّان العهد العباسي الأول كان في صدد الدفاع عن مبتنيات الخلافة الإسلامية، والحفاظ على المفهوم المقدّس لأساسيات النزاع بين فريقَي المخاصمة العقائدية، والتي أُحيلت إلى نزاع سياسي يـأخذ مـديات المواجهة والتصدي في بعض صوره، والأُطروحة الثقافية والفكرية فـي صـوره الأُخرى.

فعرض سريع لجهود الأُدباء الشيعة إبّان الإمام الصادق عليه السلام وما بعده يكشف مدى رغبة الأدب الشيعي في العمل على تأصيل أُطروحة الفلسفة الإمامية فـي الخلافة، وأنّ الاستحقاق الحقيقي لهذا المنصب لا يناله إلّا أهله، وهم أئمة أهـل البيت عليهم السلام؛ لذا فقد تعهّد الأدب الشيعي في تلك الفترة إلى تثبيت مبادئ الأهلية والاستحقاق للوصول إلى الخلافة، وليس المـدّعيات السـياسية التـي تـزعّمها العباسيون وأتباعهم من شعراء البلاط.

(١) الفصول المختارة للسيد المرتضىٰ: ص٤١، أدب الطفّ: ١/٢٢٧، أعيان الشيعة : ٧/٤١١.

الكميت بن زيد مقدّمة شعراء التحدّي

لم ننسَ ما قدّمه الكميت بن زيد الأسدي وهو ينافح عن مبدأ العقيدة والدفاع عن حقوق أهل البيت عليهم السلام، وتتأتّىٰ أهمية جهوده الأدبية في كونها تحت رعاية الإمام الباقر عليه السلام إبّان احتدام المواجهة الفكرية بين آل البيت وبين الأُمويين، الذين حاولوا الإطاحة بمبتنيات الخلافة الحقّة، إذ نجد أنّ الكميت كان يحظىٰ بعناية الإمام الباقر عليه السلام فيوجّهه ويسدّده حتى في فنّيات شعره.

فقد روى صاعد مولى الكميت، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فأنشده الكميت:

مَنْ لقلبٍ متيَّم مستهام غير ما صبوةٍ ولا أحلامِ؟

بل هواي الذي أجنّ وأبدى لبني هاشم أجلّ الأنام

فأنصت له عليه السلام، فلما وصل إلى قوله:

أخلص الله هوايَ فما أغرق نزعاً ولا تَطيش سهامي

قال له الباقر عليه السلام: قل: «**فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي**».

فقال: يا مولاي، أنت أشعر منّي بهذا المعنى[1]، وعرض عليه مالاً فلم يقبل، وقال: والله ما قلت فيكم شيئاً أُريد به عرض الدنيا، ولا أقبل عليه عوضاً إذا كان لله ورسوله.

قال عليه السلام: «**فلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت**».

قال: جعلني الله فداك. ثم لم يبقَ من أهل البيت إلّا من حمل إليه شيئاً فلم يقبل

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢٤٤/٤، عنه البحار: ٣٣٨/٤٦، ح ٢٧.

منهم[١]. وفي رواية أنّه قال: ولكن تُكرمني بقميص من قمصك، فأعطاه[٢]. ودخل يوماً على الإمام فأنشده:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم لم يبقَ إلّا شامت أو حاسد

وبقى على ظهر البسيطة واحد فهو المراد وأنت ذاك الواحد

هذه هي علاقة الكميت بالإمام الباقر عليه السلام، ومعنى ذلك: أنّ الكميت لا يتصرّف في أدبياته الشعرية إلّا بتوجيه من الإمام يومذاك، يوم كان الصراع الفكري مع أهل البيت عليهم السلام على أوجه مع الأُمويين؛ وذلك على خلفية واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام.

وكانت هاشميّاته التي كلّفته الكثير من التشرّد والترقّب من الأُمويين تستثير حفيظة الأُمويين، حتى دفعت بهشام بن عبد الملك أن يهدر دم الكميت ويلاحقه في كل مكان، وكانت الهاشميات تحدياً جدّياً للأُطروحة الأُموية، والتي يقول فيها:

ألا حيّيت عنّا يا مدينا وهل ناس تقول مسلمينا

إلى أن يقول:

لنا قمر السماء وكلّ نجم تشير إليه أيدي المهتدينا

وجدت الله إذ أسمى نزاراً وأسكنهم بمكّة قاطنينا

لنا جعل المكارم خالصاتٍ وللناس القَفا ولنا الجبينا

(١) مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني الخراساني: ص٧٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤/٢١٤، عنه البحار: ٤٦/٣٣٣، ح١٦.

السيد الحميري راوية الفضائل

هذه هي جهود الكميت، ولم يكن السيد الحميري بأقلّ جهداً من الكميت، فلربّما قد تضاعف جهد السيد الحميري إبّان العهد العباسي أضعاف ما قدّمه الكميت في عهد الأُمويين، وتعهّد السيد الحميري أن يقدِّم فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام «المحظورة» وقتذاك؛ نتيجة التنافس العباسي وتحدّي نظامه في إلغاء ثقافة الفضائل العلوية عن ذاكرة الأُمّة، بل محاولة مسخها إلى فضائل عباسية موضوعة يتكفّل بوضعها رواة البلاط، فكان السيد الحميري قد صاغ فضائل عليٍّ في ملاحم أدبية شعرية يتغنّى بها الناس؛ ليقطع الطريق على الفضائل «العباسية» الموضوعة، والتي تعهّدت نشرها فرق إعلام النظام العباسي، حتى أنّه لم يستطع العباسيون إيقاف نشر هذه الفضائل ومنع التعاطي بها بعد أن نشرها السيد الحميري على ألسنة الناس وتناقلها رواة الشعر ونُقّاد الأدب.

فهو ابتداءً يبرّر موقفه هذا من شعر التحدّي في مديح أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن نهجهم بقوله:

فيا ربِّ إنّي لم أُرِد بالذي به
مدحت علياً غير وجهك فارحمِ[1]

وله أيضاً:

وإذا الرجال توسّلوا بوسيلة فوسيلتي حبّي لآل محمد[2]

فهو إذن ينطلق من عقيدته الراسخة في الدفاع عن مبتنيات مذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) ديوان السيد الحميري: ص١٨٨.

(٢) ديوان السيد الحميري: ص٨٩.

ولربّما كان السيد الحميري يوثّق مروياته الأدبية في فضائل علي عليه السلام من محدّثي أهل السنّة ورواتهم الموثّقين ليرويها شعراً، فكان يكتب الفضائل عن سليمان بن محراث الكوفي (ت ١٤٨هـ)، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً، وهو إشارة إلى جهود السيد الحميري في توثيق فضائل آل البيت عليهم السلام في شعره، ومن مصادرها المقبولة لدى «أطراف النزاع»، وهو سليمان بن مهران الكوفي الذي قبل روايته أهل السنّة والشيعة، سواء ممّا عدّ بعضهم أنّ شعر السيد الحميري شعراً توثيقاً لفضائل عليٍّ فضلاً عن كونه متحدّياً للنظام العباسي آنذاك.

رواة فضائل آخرين

وكان لسفيان بن مصعب العبدي الكوفي موقف في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، إذ كان يروي هذه المناقب عن الإمام الصادق عليه السلام ليصيغها شعراً، فيقول في بعض مقطوعاته:

آل النبي محمد — أهل الفضائل والمناقب
المرشدون من العمى — والمنقذون من اللوازب
الصادقون الناطقون — السابقون إلى الرغائب

إلى قوله:

فهم الصراط فمستقيم — فوقه ناجٍ وناكب
صدّيقة خُلقت لصدّيقٍ — شريفٍ في المناسب
أسماهُما قُرِنا علىٰ — سطرٍ بظلّ العرش راتب

كــــان الإلٰــــه وليّــها وأمــينه جـبريل خـاطب

والمَــهر خُــمسُ الأرض موهبة تعالت في المواهب

ونهابها مـن حـمل طـوبى طـيّبت تـلك المـناهب[1]

وللمفجّع البصري وصف رائع لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكونه أشبه بالأنبياء في صفاته:

أيّــــها اللائـــمي لحــبّي عــلياً

قــم ذمــيماً إلى الجــحيم خــزِيّا

أبــــخير الأنــام عــرضت لازلـ

ت مــذوداً عــن الهــدىٰ مـزويّا؟

أشـــبه الأنـــبياء كـــهلاً وزولاً

وفــطيماً وراضـــعاً وغـــذيّا

كــان فــي عــلمه كآدم إذ عــلم

شـــرح الأســـماء والمكـــنيّا

وكــنوح نــجا مــن الهــلك مــن

سـير فـي الفـلك إذ عـلا الجـوديّا

وله مـــن أبـــيه ذي الأيـــدِ

إسماعيل شبه ما كان عـنّي خـفيّا[2]

إلى آخر قصيدته، والذي يريد به قوله: أنّ من كان شبيهاً بالأنبياء فهو الأحقّ

(١) الغدير: ٢/٤٢٩، أعيان الشيعة : ٧/٢٧٠.

(٢) اعيان الشيعة : ١/١٧٢، الغدير: ٣/٤٨٣.

بوراثتهم وخلافتهم، وليس غيره من أُولئك المدّعين العباسيين.

وأيمن بن خزيم يشير في بعض مقطوعاته بأحقّية أهل البيت عليهم السلام بقوله:

نهاركُمُ مكابدةٌ وصـومُ   وليلُكُمُ صـلاةٌ واقـتراءُ

إلى قوله:

أأجـعلُكم وأقـوامـاً سـواءً   وبـينكم وبـينهم الهـواء

وهـم أرض لأرجـلكم وأنـتم   لأرؤسهم وأعينهم سـماء[1]؟!

وحالة التفضيل هذه بين أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم من أقوام يرون أنّهم أحقّ منهم بالخلافة ـ وهم بنو العباس ـ لون آخر من ألوان المعارضة الأدبية.

خلاصة القول: والذي نريد قوله: إنّ الصراع العلوي العباسي لم يقف عند حدود الحركات المسلّحة التي تزعّمها علويون ثوريون مثل بعضهم رؤية أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومثل الآخر توجّهاته الخاصة به، إلّا أنّها لم تخرج عن الاعتراض على ظلم الحاكم وتعسّفه، أي أنّ الصراع أخذ أبعاده الأُخرى، وهو البعد الثقافي والفكري، وارتأىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يأخذوا بتوجّهات الأُدباء وجهودهم الشعرية؛ لتنحى منحى المعارضة الفكرية، ولتعمل على تطويق خروقات الطرح العباسي الذي أخذ أبعاداً خطيرة، وهي التصفية الفكرية التي صاحبت التصفية الجسدية لمعارضيهم من العلويين.

والتغييب الفكري لم يكن بأقلّ خطورةً من التغييب الجسدي الذي مارسه العباسيون، وعمد أهل البيت عليهم السلام إلى تطويق المدّعيات الفكرية التي خاضها

---

(١) أعيان الشيعة: ٣/ ٥٢٠، شرح احقاق الحق للسيد المرعشي: ٩/ ٦٩٧.

العباسيون في ضمن خطابهم السياسي، وعمل الأئمة على تثبيت الأُسس ودعائم المفاهيم الإسلامية، وترشيد الرؤى المطروحة التي كادت أن تنقضّ على ثوابت الأُمة، عندها لم يستطع الجهد العباسي إلّا أن يقف عاجزاً عن امتداداته في دعاواه بالخلافة ومحاولة حجبها عن أهلها، ولم يكن أهل البيت عليهم السلام يسعون في هذا الاتجاه للوصول إلى الحكم بقدر ما كانوا يسعون للحفاظ على المبتنيات والأُسس الإسلامية التي تضمن انسيابية الحقائق التاريخية التي سعى العباسيون إلى تغييبها عن ذهن الأُمة.

إنّ الجهد الأدبي والفكري أوفق مع معطيات حركة أهل البيت عليهم السلام السلمية التي سعت إلى الحفاظ على الحقائق دون تحريفها على يد السلطة العباسية، وتمتين علاقة الأُمة مع الحدث التاريخي الواقعي غير المحرّف، ولا ننكر أنّ العصر العباسي عمّق المنهج الأدبي في تعاطيه مع الأحداث بعد أن كان ديدن شعراء البلاط الاسترزاق على قصائد مدح الخلفاء، ومعلوم أنّ القصيدة لا تتجاوز مديح هذا الخليفة أو ذاك، ولابد من أن يتعرض الشاعر إلى قضية محورية واحدة، وهي استحقاق العباسيين دون غيرهم الخلافة، ولازم ذلك أنّ غيرهم من معارضيهم ـ وهم العلويون ـ غير جديرين بالخلافة؛ ممّا عزّز هذه الرؤية عند العامة، وكادت أن تلغى عن أذهانهم الحقائق التاريخية التي ورثتها ثقافة صراع العلويين طيلة عقود مع مناوئيهم من الحكّام الأُمويين.

من هنا نجد أنّ عصور الأئمة من الباقر حتى الإمام الحجة عليهم السلام قد خلت من قصائد الثناء والتقريض لهم من شعراء الشيعة الذين لازموهم، بل لم نجد ـ عدا بعض المفردات الشعرية وبعضها في عهد الإمام الباقر عليه السلام ـ قصيدة تثني على هذا

الإمام أو ذاك، بل توجّه الجهد الأدبي وبحضورهم إلى الدفاع عن القضية الرئيسية، وهي الإمامة والخلافة الحقّة والتصدّي للمدّعيات العباسية، في حين نقرأ في التراث الأدبي الشعري المتأخر ما ينمّ عن توجّهات أدبية في مدح الأئمة عليهم السلام، وهو ما يجيب عن التساؤل التالي: لِمَ لم يذكر الشعراء المعاصرون لأهل البيت عليهم السلام قصائد مدح تخصّهم في حين نجد أنّ الجهد الأدبي منصبّاً على تأريخ مقطع واحد، وهو شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وخصائصه وعلاقة ذلك باستحقاق الخلافة ووصاية النبي صلى الله عليه وآله، في حين يندر الجهد الأدبي الشيعي عن مدائح أئمة أهل البيت عليهم السلام بالرغم من اختصاص بعض الشعراء بإمام من أئمة أهل البيت؟

وبهذا فإنّ القول نفسه ينطبق على حياة الإمام الجواد عليه السلام، فإنّك لم تجد من المديح ما يذكر من شعراء عصره عدا ما تجده من قصائد المديح لشعراء محدثين تنطوي على مشاعر خاصة يتأثر بها الشاعر حينما يقف على حياة الإمام الجواد عليه السلام، أو ما يعزّز وجدانياته الخاصة وهو يقرأ من سيرة الإمام ما تجيش به شاعريته وتحتفل فيه ملكة الشعر وأحاسيس الولاء.

الإمام الجواد عليه السلام في الأدب العربي

هذه باقة من بعض ما وقفنا عليه من الشعر في مديح الإمام الجواد عليه السلام ورثائه، تمثّل تحوّلاً جديداً في الأدب العربي؛ ليخصّ تأريخ الإمام وحياته، منتزعاً من انطباعات الشاعر وهو يتحدث عن وجدانياته وأحاسيسه عند قراءته لهذا المقطع التاريخي الخطير:

القصيدة الأُولىٰ: وهي للعلّامة الشيخ محمد علي الأُردوبادي الغروي

بأي ثناء أقتفي محكم الذكر
بمدح بنيك المصطفين أُولي الأمر
وإنّي وإن أفنيت فيهم مشاعري
كمن شبّه الطود الممنّع بالذرّ
وإن كان في الآي الكريمة ذكرهم
فماذا عسى أن يقتني فيهم شعري؟!
فأيام تشريق بهم كل دهرهم
وعن ليلهم يحكي السنا ليلة القدر
وآخر دعوانا أن الحمد كله
لمن خصّنا بعد الولاية بالشكر
فلي من علي والحسين وصنوه
ذخائر تُنجيني لدى موقف الحشر
وإنّ بزين العابدين وحبّه
يهون غداة الموت حشرجة الصدر
ولي من ولاء الصادقين وسيلة
تطيب بها في برزخي نومة القبر
وفوزيَ في الدنيا بموسى بن جعفر
ويصلح في يوم الحساب به أمري

وأرجــو بـمولاي الرضـا كـل خـطوة
لديــه وأنــجو عــند مــقتبل الضُــرّ
وهــذا أبــو الهــادي سـيصبح جـنتي
مـتى أعـوزت يـوم اللـقا جـن النـصر
له جــــذم فـــيه النـــبوة تـزدهي
وآصـرة تـزدان فـي طـيّب النـجر
ونــفس أنــاطت بــالقديم حــوادثاً
مـضت قـيد أمـر مـنه أو مـنتهى زجـر
وقــدسيّ فــيض مـنه بثّ عـلى الدنـا
فآثــر فـي الأكـوان طـيباً عـلى نشـر
وإن قــلت فــي حــلم فـثهلان دونـه
وإن قلت في بأس ففي الجحفل المـجر
وإن قــلت فــي عــزم يـدك رواسـي
الجـــبال فــأرسل بــالمهندة البـتر
وعــن رأيــه لوح المــقادير نُــضّدت
صــحائفه حـيث القـضاء بـها يـجري
ويســـــتصغر الأطـــواد بــاذخ علمه
كــما استَزَرَ الدهـماء بـالنائل الغـمر
وفـــي مــبدأ الإيــجاد أوّل صــادر
له عــنّت الأشـباح فــي عــالم الذرّ

وقــد نــيطت الآفــاق فــيه بــأنفسٍ
عــليهنّ أضـحى مـوئل النـهي والأمـر
لئن يمشي فـي صـقع الشـهود فـمستو
ى القداسـة مـنه شعّ فـي عـالم الأمـر
مُــواليــه فــي يــوم التــغابن رابـح
كــما أنّ مـن نـاواه فـيه عـلى خُسـر
وأرجــو نــجاةً مـنه فـي يـوم فـاقتي
كــما طــاب قــبلاً فـي مـودّته نـجر
ويــا بُــعدَ أُمّ الفــضل مــمّا أتت بــه
لمــعتصم فــي فــعله بِــعُرى الكــفر
أحــالت صـباح الديـن أسـود فـاحماً
دجــنّةً غــيٍّ مــن جــنوحٍ إلى غـدر
أبــا جــعفر أبكــيتَ شــرعة أحــمد
وغادرت طـرف الديـن أدمـعه تـجري
وأذكـيت فـي الأحشـاء جـذوة لوعـة
عليك فأحنيت الضـلوع عـلى جـمر(١)

(١) وفاة الإمام الجواد عليه السلام لعبد الرزاق الموسوي المقرم: ٨٠ ـ ٨٥.

القصيدة الثانية: وهي للعلّامة الشيخ محمد رضا المظفر

حَــــيٍّ قــلباً تُــذيبه الحســرات
إنّــما المـوت فـي التـصابي حـياة
كـل مـا تـعرف الورى عـن حـياة
النــفس فــي غـير حـبّها مـنكرات
أبـــهذا الخــلي حسب المــعنى
خلسة في الدجـى رعـتها الوشـاة؟
يــنثني فــي طـلا الغـرام فـيصحو
فــيرى السكــر مـا عـليه الصـحاة
شتّ نحو الفـضاء عـيناً عـلى البـعد
وعــين الوصــال فــيه الشــتات
حيث تـلك الزلفـى وقـد هـجع النـا
س ومـــالت عـــليهم الغــفلات
حــيث دار الهـوى بكـأس تـناجيه
فـــحطّمن دونـــه الكـــاسات
حيث ألقـى طـمر السـفاسف وارتـا
ح لقــدس عــنه السـماء مـرآة
فـاعتلى غـبطة يـطلّ عـلى الكـو
ن بــحيث اطـمأنّت الحـركات

واختلى والخيال بالألف لا
تلهيه إلّا بإلفهِ السكرات
إنّ في ذلك التجلّي تخلّي
النفس عمّا جاذبة الشهوات
أنا فارقت في هوى الإلف صحبي
وكذا الناس في الهوى أشتات
إنّ نفساً تعلّقت فيه تكفيها
ابتهاجاً بذكره اللذّات
وحياتي فيه افتضاحي لتقفوا
الناس أثري فتكثر الأموات
أيّهذا الخليّ حيٍّ على الحبّ
فهذي المناهل المترعات
خلِّ في ذلك الفضاء سبيل القلب
حيث القلوب منتهلات
أترى القلب يستقيم سبيلاً
وحنايا الضلوع منحنيات؟
إنّما الماء بالإناء فلا
تطبع إلّا بظرفه الهيئات
ظلمات هذي الحياة ولا
مصباح إلّا ما أوقدته (الهُداة)

عنصر للوجود كوّنه الله
فكانت بنوره النيّرات
مثل النور والزجاجة والمصباح
أنتم وأنتم المشكاة
أنتم النور للكليم على الطور
وأنتم لآدم الكلمات
أنتم باب حطّة من أتاه
كان أدنى ما يرتجيه النجاة
وكفى مفخراً بغير ولاكم
لا تتمّ الصلاة والصلوات
بالإمام (الجواد) منكم تمسّكتُ
وحسبي من قُدسه النفحات
حَدِثٌ قلّد الإمامة فانقا
دت لعلياء حكمه الحادثات
ابنُ سبعٍ ويا بنفسي قد
قام إماماً تُجلى به الكربات
إنّ هذا السرّ الخفيّ وما
أجلاه تُجلىٰ بنوره الظلمات
لا تَخِلْ ويكَ وهو في المهد طفل
هذّبته بدَرِّها المرضعات

هـو نـور مـن قـبل أن تـتجلّى
بسـنا الحـق هـذه الكـائنات
جـاء للأرض هـادياً ونـذيراً
فـتنزّلن بـالهنا المـرسلات
طـاب فـي شـهر طـاعة الله مـو
لوداً فـنيطت بـحبّه الطـاعات
إصـطفاه الإله للـخلق قـوّا
مـاً فـقامت لفـضله المـعجزات
عـن عـلاه قـاضي القـضاة فَسَـله
ولكـم ضـلّت السـبيل القـضاة
سَـلهُ لمّـا خـانته نـجواه غـيّاً
كـيف دارت بـجهلة الدائـرات؟!
زعـم الغـضّ مـن مـعاليه حـتى
فـضحته المـزاعـم الفـاسدات
وعـليه المـأمون مـذمرّ سَـلهُ
أتـرى مـن إمـاه كـنّ البـزاة؟!
حـين جـاء البـازيّ يـحمل مـن
حـيات بـحر أمـواجـه الزاخـرات
ليـبين الحـق الصـراح وتـعلو
لسـنا بـيت (أحـمد) المكـرمات

ليس يــلهو وليس يــلعب مُـذ كـا
ن ولكـــن لتـــظهر الكـــائنات
وسَـــلِ السِـــدرة التـي قـد حـباها
بـــطهور فـاضت بـه البـركات
أورقت غـــبطة فـباهت فـخاراً
ســدرة المـــنتهى وهـــذي الهـبات
أثمرت حين أثمرت بـالجَنْي الغَـضِّ
ومـــا فـــيه كـــالثمار النـــواة
وسَـــلِ الجـعفريّ مـذ جـاء مـغتمّاً
له والرقـــــاع مشـــــتبهات
وأبـــا ســـلمة الأصـــمّ فشـــافاه
هـــنيئاً فـــهذه الخــــطوات
مـــعجزات تـــفنى النـــجوم حسـاباً
كـيف تـحصى أنـوارهـا؟! هـيهات
أتـــرانـــي أسـطيع مـــدح إمـــام
نـــزلت فـــي مـــديحه الآيـــات؟!
إنّ بـــيتاً له انـــثنى العـــرش طـوعاً
قـــصرت عـــن ثـــنائه الأبـــيات
يـــا أبـا جـعفر، ومـا أنت إلّا البـحر
جـــوداً له الهـــدى مـــرساة

أنا عبد قد مسّني الضُرّ وافيتُ
وهذي بضاعتي المُزجاة
أتراني أعود في صفقة الخسر
وأنتم للمستجير الحُماة؟!
صُمتُ عن حبٍّ ما سواكم لا زُكُّوا
وكذا الصوم للأنام زكاة
عذّب الله أُمّةً جَعجَعت فيكم
مقاماً قامت به الكائنات
قد تَصابَوا إلى لَظىٰ غضبِ
الجبار صُبّت عليهم اللعنات

القصيدة الثالثة: وهي للعلّامة الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي رحمه الله

رضاكِ وكلّ ما أبغي رضاكِ ... فما شِئتِ افعلي ودَعي جفاكِ
على عيني عتابك إن عتبت ... إذا ما كان عتبك عن رضاك
معاتبتي على التشبيب فيها ... ولم أذكرك لا وعلا هواك
ذكرت من المها جيداً وعيناً ... ومن شجر القنا خوط الأراك
فبالله انصفي هل ذاك ذنبي ... يعد أذاهما لم يخطئاكِ
وقيل: من الحبيبة قلت: شمس ... فما انصرف الجواب إلى سواك
وحيّتني فقلت: أشم مسكاً ... فَلامَت قلت: لومي فيه فاك
فديتك حين ألقاك امهليني ... فإنّي سوف يخرسني ارتباكي

كـأنّ القلب بعدك في ظلامٍ ... فـإن فـاجأت أرمِضُه ضياك
لو آن القرط يجذبه جمال ... إذا لم تشتريه لاشتراك
يطلّ على جنان من خلودٍ ... ويهمس منك في أُذُني ملاك
وليس المشط في معروش فرعٍ ... بسجن والشباك ضفيرتاك
أُعاوضه الفضا لو كنت طيراً ... وأُغبنه بسجنٍ في الشباك
ملكتِ عليَّ آفاقي جميعاً ... سواءً في سكوني أو حراك
أُفكّر إن لقيتك في فراق ... وإن فارقتِ أشغل في لقاك
وفي مدح (الجواد) أبي (عليٍّ) ... شغلت عن اقترابك أو نواك
فيا بغداد نور الله هذا ... وأرضك فيه أشرف من سماك
فقل لابن الرشيد: عداك رشد ... رميتَ فردَ سهمك دِرعَ شاكي
أتسأل عنه عن سمك وهذا ... الخبير فسله عن خلق السماك
وشِقشقة ابن أكثم لا تهيجي ... وردّي القهقراءَ إلى وراك
وهذا لا يُلاك لديه فكٌّ ... ولو أنّ الفضاء يكون فاك
ولا عجبٌ هو الله اصطفاه ... وأنت الشرك خارك واصطفاك
أأُمّ الفضل ويك بأيٍّ عذرٍ ... ستعتذرين في يوم التشاكي؟!
تركت الدار موصدة عليه ... وما في الدار من أحدٍ سواك
فعلت وما رحمت له شباباً ... فهلّا قد رحمت أنين شاكي
وكم قطعوا له رحماً وقربى ... وهذا القطع عن قطع (الأراك)
وقتلك عن (سقيفتهم) تمشّى ... وقبلك قتل آباكَ الزواكي
وهب سمّتك أُمّ الفضل لكن ... تسبّب كل ذلك عن (...)

فــأيّ مــصابكم نــبكي عــليه لِسُـــمٍّ أو لقـــتلٍ وانـــتهاك
يزيد عـلى مـصائبكم (حسـين) فقد رضّـته بـالطفّ (المـذاكـي)
عــليه قــضت أُمـية وهـو ظـامٍ فـــلا روّىٰ الإله غــداً ظَــماك
جــنيتِ عــليه تــمثيلاً وقــتلاً وليت بأنّ ذلك قـــد كـــفاك
فسُقتِ إلى دمشـقَ نِسـاهُ أسـرى وتــلطم كــل بــاكـيةٍ وبـاكـي

القصيدة الرابعة: في رثاء الإمام عليه السلام للعلّامة الشيخ قاسم محيي الدين

بكيتُ على رسمٍ دُرِسـنَ مـنازلُه وناحت لفرط الوجد فـيه بـلابلُه
وقفتُ بـها والعـين تـنشر جـفنها سحاباً وقد سحّت نجيعاً هواطِـله
وقد غالَني الدهر الخؤون بـفادحٍ به نسفت أطـواد صـبري زلازله
فأصبحت ترتاد الرزايا حَشاشتي ومنّي نجيع الدمع فاضت جداوله
دهـــتني رزايـا قـد ألمّت بسـيدٍ فــضائله مشــهودة وفـواضـله
جواد خـضمّ الجـود أسـرار كـفّه ولا زال تَهمي البـرّ سـحّاً أنـامله
سليل الرضا سـبط النـبي مـحمّدٍ جواد الورى مَن لا يُخيِّب سائله
أبو جعفر مـدحي عـلاه فـريضة وإن كبرت عن مدح مثلي نوافله
فـبعداً لقـومٍ لا تـراعـي عـهوده ولم يُرعَ فيه حـقّ أحـمد خـاذله
فكم جَرّعته الهون قسراً فلم يزل حليف شجون دمعه سـحّ هـاطله
وكــم نـاضلته عـصبة بسـهامها عــناداً وبـغياً لا تـزال تـناضله
فأصمت حشا الدين القويم وأنّها أصابت إماماً قد تـعالت فـضائله
وما نقموا منه سوى الفضل والعلى فظلّت بفرط الجور غدراً تواصله

فأصبح رهناً للرزايا ومرتمىٰ لنبل كفورٍ غالَ بالحتف غائله
فما حفظوا في قربه قرب أحمدٍ غداة بعظم المكر قسراً تُخاتله
إلى أن قضى بالسُمّ ظلماً مجرّعاً كُؤوس عداءٍ والحتوف مناهله

القصيدة الخامسة: وله أيضاً

إذا رُمتَ الشفاعةَ في المعادِ فَلُذ بِحِمىٰ محمّدٍ الجوادِ
شفيعاً للأنام وخير غَوث مغيثاً للورى يوم التناد
به الأملاك قد شرفت وفيه سمت شاؤوا على السبع الشداد
إمام لو دعي المقدورَ وافىٰ لنافذ حكمه سلس القياد
مناقبه الثواقب ليس تُحصى بها اعترف الموالي والمعادي
بأخمصه رَقىٰ أوج المعالي وطاول عرشها سامي المعاد
جواد ما دُعي للجود إلّا غدت كفّاه تهمي كالغوادي
فلا عجب إذا نعشوا إليه فساطع نوره للخلق هادي
ومَن غير الجواد أبي عليٍّ شفيع الخلق في يوم المعاد
له فضل يفوق الرسل فيه وهل فضل حكىٰ فضل الجواد
فيا لهفي له كم من ملمٍّ أراع حشاه من باغٍ وعاد
وكم من عصبة عَضّت عليه بنان الغيظ من فرط العناد
ألا بُعداً لقوم لم يراعوا عهودكم وجدّوا بالفساد
فكم ساموكم حرباً فسالت دمائكم كمنسَكَب العهاد
عتوا عن أمركم وبَغَوا إلى أن تطامنتم على شوك القتاد

سعيداً عشت في زمن يسير أجَل، ومضيت محمود الأيادي
قضيت بسُمٍّ أُمِّ الفضل غدراً ولم تحفظ لكم حقّ الوداد
قضيت بظلمِ مَن ظَلَموك صبراً وجرعك العدا أصاب النكاد
بكاك الدين مذ قوّضت حزناً عليك قد اكتسى ثوب الحداد
وفقدك قد أثار جوى لؤيٍّ وغادرها محالفة السهاد
وأشجى قلب خير الرسل حزناً ومنه الدمع منهلّ الغواد
وأذكى في حشا الهادي عليٍّ لظىٰ الأحزان وارية الزناد
وغادر فاطم الزهراء ثكلاً مجلّلة يرزئك في السواد
وأبكىٰ المجتبى حسناً وأقذى مصابك مُذ دهىٰ عين الرشاد
وأبكىٰ خير مقتولٍ صريعٍ بكته الأرض مَعْ سبعٍ شداد

القصيدة السادسة: للعلّامة الشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي

سبحان من جاد على الذوات بمقتضى الأسماء والصفات
فقد تجلّى باسمه الجواد في مصدر الخيرات والأيادي
في عنصر النبوة الختمية بصورة الولاية العلية
حقيقة الأمانة المعروضة رقيقة الديانة المفروضة
صحيفة المكارم الجميلة لطيفة المعارف الجليلة
سرّ النبي خاتم النبوة في العلم والحكمة والمروّة
ومهجة المخصوص بالأُخوّة في الحلم والإباء والفتوّة
سليل ياسين وسبط طاها فقد تعالى شرفاً وجاها

سلالة الخليل في وفائه وصفوة الصفيِّ في صفائه
ساحل جوده هو الجوديّ به نجيّ ربنا نجيّ
بل هو للكليم تاج رأسه في بطشه وفي شديد بأسه
بل هو روح الروح في ابن مريم وهو من الكلام أُمّ الكلم
وحشمة الله رهين نعمته في ملكه وعلمه وحكمته
ولا ترى في الأنبياء مكرمة إلّا وفيه كل معنى الكلمة
ووجهه مصباح نور النور طلعته منصّة الظهور
ونور وجهه كنور الباري يذهب بالألباب والأبصار
غُرّتُه بارقة الكمال شارقة الجلال والجمال
وعينه في عالم التكوين إنسان عين الحقّ واليقين
وقلبه عرش مليك المعرفة بل عرش من لا اسم له ولا صفه
وصدره خزانة الغيوب في سرّه مسرّة القلوب
لسانه شريعة الأحكام لا بل لسان الوحي والإلهام
لسانه ينطق لا عن الهوى فإنّه من الشديد في القوى
يمثّل النبي في منطقه فإنّ هذا النور من مشرقه
كأنّه أُريد ذاك المنطق هذا كتابنا عليكم ينطق
كلامه أمّ جوامع الكلم ومنه سرّ الكلّ في الكلّ علم
كلامه هو الكتاب الناطق آياته الغرّ هي الحقائق
حقيقة السبع المثاني ذاته والكلمات كلّها آياته
سرّ عليٍّ في علوّ المنزلة فهو إذاً نقطة باء البسملة

وليس عـــاليات الأحـــرف إلّا رمـــوز ســرٍّ ســرِّه الخـــفي

وله عليه السلام أيضاً:

وجـــوده مـصباح أنـوار الهـدى وجـــوده مـفتاح أبـواب النـدى
دليـــل أهـــل الأرض والسـماء بـــل ســرّه مــعلّم الأســـماء
هــــو الجـــواد لا إلى نــهاية وجــــوده غـــاية كـــل غـــاية
هـو الجـواد بـالوجود السـاري وجـــوده مــظهر جـود البـاري
هـــو الجـواد المـحض لا لغـاية فـــــإنّه المـــبدأ والنــــهاية
وكل ما في الكون فـيض جـوده والجـود كـالذاتـيِّ فـي وجـوده
ومـــن بـــديع جـوده الإبـــداع فـــــإنّه لأمـــره مـــطاع
فـــالمبدعات مـن مـعالي هـممه والكـــائنات نـــبذة مـــن كـرمه
وجـــنّة النـــعيم مـــن نـــعمائه وكـيف والجـواد مـن أسـمائه؟!
هـــو الجـــواد بـالعلوم والحكـم بل كل ما في الكون يَسطُرُ القـلم
له يـــد المـــعروف بـــالمعارف فـــإنها قـــرّة عـــين العـــارف
بل يده البيضا تـعالت عـن صـفة إذ هـــي بـيضاء سـماء المـعرفة
وهـــي يـــد الجـــواد بـالإفاضة أكـــرِمْ بـــهذه اليـــد الفـــيّاضة
وبـــاب أبـــواب المـــراد بـــابه والحـرز مـن كـل البـلا حـجابه
كهف الورى وغوث كلٍّ مـلتجي في الضيق والشـدّة بـاب الفـرج
وكـــعبة البـــيت لكـــل نـــاسك وقـــبلة الضـــراح للـــملائك
مـــعتكف للـــتاليات ذكـــرا مـــختلف المـــدبِّرات أمـــرا

وهـو مـدار الفـلك الدوّار ومـركز الثـابت والسـيّار
والحـجب السـبعة سـرّ بـابه والحَـضَرات الخـمس فـي قـبابه
والعـرش كـرسيّ بـباب داره ومستوى الرحـمة فـي جـواره
كـيف وبـاب الجـود للجواد واسـم الجـواد مـبدأ الإيـجاد
وكـم لأربـاب العـقول المـرسله باب من الخـير وبـاب الجـود له
كـل المـعالي فـي أئـمة الورى هـو الجـواد أولاً وآخـراً
وكـلهم أسـماء حسـنى البـارى والجود مـبدأ الوجـود السـاري
وكـلهم جـواهـر الكـنز الخـفي واسـم الجـواد مـبدأ التـعرّف
وكـل اسـم مـبدأ العـناية واسـم الجـواد مـبدأ وغـاية
مـن جـاد سـاد فـله السـيادة فـي مـلكوت الغـيب والشـهادة
والمكـرمات كـلّها فـي الجـود أكـرم بـه مـن خـلق مـحمود
عـين الرضـا لابـدّ مـنه فـيه فـهو إذاً سـرّ الرضـا أبـيه
بـل هـو كـالكاظم فـي مـراتـبه فإنّ كـظم الغـيظ جـود صـاحبه
يـمثّل الصـادق فـيما وعـدا إذ صـادق الوعـد جـواداً بـدا
يـمثّل البـاقر فـي المكـارم فـإنّ نشـر العـلم جـود العـالم
يـمثّل السـجاد فـي فـضائله فـإنّ بـذل الجـود جـود بـاذله
وليس كـالشهيد مـن جـواد بـالنفس والأمـوال والأولاد
ومَـن كـعمّه الزكـيِّ المـجتبى فـإنّه الكـريم مـن آل العـبا
بـل حـلمه مـن جـودهِ العـظيم فـلا أحـقّ مـنه بـالتكريم
هـو الجـواد صـفوة الأجـواد ونـخبة الوجـود والإيـجاد

يمثِّل المبدأ جوداً جوده والمثل الأعلى له وجوده

كل مبادي الجود والإيجاد لا تنتهي إلّا إلى الجواد

كأنّ ماء الحَيَوانِ جودَه حياة كلّ ممكن وجوده

وليس في الأيدي يد الأيادي على الورى إلّا يد الجواد

ولا يد المعروف إلّا يده فهو لكلّ مصدر مورده

هو الجواد لا جواد غيره لا خير في الوجود إلّا خيره

وجاد بالتكوين والتشريع بمقتضى مقامه المنيع

حتى إذا لم تبقَ منه باقية جاد بأنفس النفوس الراقية

جاد بنفسه سميماً ضامياً نال من الجود مقاماً سامياً

والعروة الوثقى التي لا تنفصم تقطّعت ظلماً بسُمٍّ المعتصِم

قضى شهيداً وهو في شبابه دُسَّ إليه السُمّ في شَرابه

أفطَرَ عن صيامه بالسُمِّ فانفطرت منه سماء العلم

وانشقّت السماء بالبكاء على عماد الأرض والسماء

وانطمست نجومها حيث خبا بدر المعالي شرفاً ومنصبا

وانتشرت كواكب السعود على نظام عالم الوجود

وكادت الأرض له تميد بأهلها إذ فقد العميد

قضى بعيد الدار عن بلاده وعن عياله وعن أولاده

تبكي على غربته الأملاك تنوح في صريرها الأفلاك

تبكيه حزناً أعين النجوم تلعن قاتليه بالرجوم

وناحت العقول والأرواح بل ناحت الأظلال والأشباح

صَبّت عليه أدمع المعالي ... هدّت له أطوادها العوالي
بكت لربّانيّها العلوم ... ناحت على حافظها الرسوم
قضى شهيداً وبكاه الجود ... كأنّه بنفسه يجود
يبكي على مصابه محرابه ... كأنّه أصابه مصابه
تبكي الليالي البيض بالضراعة ... سوداً إلى يوم قيام الساعة
تعساً وبؤساً لابنة المأمون ... من غدرها لحقدها المكنون
فإنّها سر أبيها الغادر ... مشتقة من أسوء المصادر
قد نال منها من عظائم المحن ... ما ليس ينسى ذكره مدى الزمن
فكم سعت إلى أبيها الخائن ... به لما فيها من الضغائن
حتى إذا تمّ لها الشقاء ... أتت بما اسودَّ به الفضاء
سمّته غيلة بأمر المعتصم ... والحقد داء هو يعمي ويصم
ويل لها ممّا جنت يداها ... وفي شقاها تبعت أباها
ولا تحنّنت على شبابه ... ولا تعطّفت على اغترابه
تبّت يداها ويدا أبيها ... مصيبة عزّ العزاء فيها

القصيدة السابعة: للعلّامة الشيخ جعفر النقدي

لكم غزلي ومدحي في إمامي ... أبي الهادي (محمدٍ الجواد)
هو البرّ التقيّ، حمى البرايا ... وغيث المجتدي، غوث المنادي
إمام أوجب الباري ولاه ... وطاعته على كل العباد
دليل بني الهداية خير داع ... إلى ربّ السماء وخير هادي

إمام هدىً مقام عُلاه أضحت … به الأملاك رائحة غوادي

تقبِّل منه أرضاً قد أنافت … برفعتها على السبع الشداد

من الغرّ الأُولى فيهم تجلّت … لروّاد الهدى سنن الرشاد

ومَن في فضلهم طوعاً وكرهاً … قد اعترف الموالي والمعادي

بهم كُتُب السما نطقت وكم من … حديث جاء من أهل السداد

وقبل وجودهِمْ قد كان يدعو … بهم قُسّ بن ساعدة الأيادي

تخذتُ ولاءَهُمُ ديناً لأنّي … رأيت ولاءَهُم خير العتاد

وهم حصني إذا ما ناب خطب … وهم مغنى انتجاعي وارتيادي

ومنهم نعمتي وهُمُ رجائي … وهم ذخري الطريف مع التلاد

إذا ما سُدّتِ الأبواب فاقصد … (جوادَ) بني الهدى بابَ المراد

ترى باباً به الحاجات تُقضى … ومنتجعاً خصيب المستراد

ومولىً فيه تَلتَجِئ البرايا … لدى الجلي وفي السَنَة الجماد

لطُلّاب الحوائج من نداه … تزاحمت العوائد والبوادي

على وُفّادِهِ كالغيث تَهمي … يداه مدى الزمان بلا نفاد

بحار علومه علم البرايا … لدى زخّارها شبه الثِماد

رأى دين المهيمن منه شهماً … كريم الذبِّ عنه والذياد

فكان بظلِّه في خير أمنٍ … به لم يخشَ غائلة الأعادي

وكم ظهرت له من معجزات … رآهنّ الحواضر والبوادي

وما ارتدعوا بنو العباس عمّا … قلوبهم حوته من عناد

فساموه الأذى حسداً ببغيٍ … لهم قد فاق شرّاً بغي عاد

ودَسَّ لقــتله سُــمّاً ذُعــافاً ... زنــيم ليس يــؤمن بــالمعاد
فــأغضب ربّــه فــيما جـناه ... وأرضـى (أحـمدَ بنَ أبـي دُؤاد)
وبــات الطــهر والأحشـاء منه ... بــها نــار الأســى ذات اتّـقاد
كــأنّ فــؤاده والسُــمّ فـيه ... تــقطّعه ظُـبَى بِـيضٍ حـداد
تــقلّبه الشــجون عـلى بسـاطٍ ... من الأسقام دامي القلب صـادي
ءَأُمّ الفــضل لا قُــدِّستِ روحـاً ... ولا وُفِّــقتِ يــا بـنتَ الفسـاد
حكيتِ (جعيدةً) فـي سُـوء فـعلٍ ... فــخصمك أحــمدٌ يـوم التـناد
أمثل (ابـن الرضـا) يـبقى ثـلاثاً ... رهـين الدار فـي كـرب الشـداد
ويقضي فـوق سـطح الدار فـرداً ... وأنت من الغـوايـة فـي تـمادي
أفــتيان العــلى مــن آل فــهرٍ ... وأبــطال الوغــى يوم الجلاد
وأبــناء المــواضـي والعـوالي ... وفــرسان المــطهّمة الجـياد
هــلمّوا بــالمسوَّمةِ المــذاكـي ... لدرك الثأر ضــابحةٍ عــوادي
عــليها كــلّ مــغوارٍ جســورٍ ... يــزين حســامه طـول النـجاد
فــإنّ دمــاءكم ضاعت جـباراً ... لدى الطُلقاء مـن بـاغٍ وعـادي
وفــعل (بـني نـثيلة) فـاق شـرّاً ... فِــعال أُمــيةٍ وبــني زيــاد
ســقى الزوراء غــيثٌ مســتمرٌّ ... وعــاهد أرضـها صـوب العـهاد
رُبــا أرجــائها أعــلى مــقاماً ... وأزهــى مــن رُبـا ذاتِ العِـماد
بــقبر ابــنِ الرضـا وأبـيهِ حـقّ ... لهــا لو فــاخرت كـلّ البـلاد
هُــما كـهف النـجاة لمـن رَمَـته ... ليــاليه بــداهــية تآد
كــريما محتدٍ مِـن كـان مـثلي ... يــؤدُّهما فـمِن كَـرَم الوِلاد

فما زالت قبورهما قصوراً مشيّدةً رفيعاتِ العماد
وما بَرِحت وجوه بني البَغايا بأقلامي يُسوِّدها مِدادي[1]

القصيدة الثامنة: للحاج محسن المظفّر

(بابَ المراد) ولا كصدرك إذ تُؤَم
في حاجةٍ رحبٍ إليه الجمّ ضم
وبحسب آمال تزمّ لغاية
إنّ (الجواد) محطُّ آمال تُزَم
هو للذي وهب الهداية بابه
بالرغم ممّن بات يختبط الظلم
باب له في الآي أي مفاتح
فتح الإلٰه بها الهدى وبها ختم
رهط المباهلة الجليلة رهطه
أدريت من بهم المباهل قد خصم؟
أجر الرسالة وِدّهم وكفى به
أمّا يراع الفخر مفخرة رقم
ينحطّ عن تطهيرهم في آية
التطهير حتى الفضل ينتعل القمم

ملك بأمر الله (جلّ) متوّج
إن كان تاج سواه تعقده الأُمم
وقفٌ على أمر المهيمن أمرُه
وببعض ما عنه نهى ما كان هم
متجرّدٍ لله جرّد عزمه
لرضاه مذ هُزءٌ جميعاً بالسأم
ذو طلعةٍ بهر النواظر حسنها
متطلّعات للضياء عليه نم
ذو نشأة أعييٰ التفكّر كهنها
سبحان من أنشاه من علقٍ ودَم
غذّاه دَرّ العلم قبل فصاله
فنما كما ينمو وبالعلم انفطم
أجرى إليه العلم بالقلم الذي
يجري على اللوح المعلَّم بالقلم
تعنو الشيوخ إلى الصبيّ متى استوى
في الدست يشرع الحكومة والحكم
وبحضرة المأمون أفحم سائل
للامتحان أتى فعاد مخيط فم
قد أخرس (ابن أكثم) فانثنى
يومي لمن حضروا بأنّ (العلم) جم

أو ما سمعتم ما سمعت؟ فدونكم

ثمر الجناية فاجتنوا نكباً وهم

يليانكم ما دمتم لم تقطفوا

من ينعها غير التحسّر والندم

هلّا اقتديتم بالأُولى في الآل قد

بذلوا ليخفوا فضلهم أقصى الهمم

نحلوا العيون تمدّ للأعيان والآ

ذان ترهف للصدى صدّاً وصم

ضربوا الستور حيالهم كي يحجبوا

منهم عن البصر الحديد بدور تم

وأبيتم إلّا انتدابي ضلّة

للندب كم خصم بحجّته انخصم

فلكم تبصّر ذو عمىً فيما له

فبهتّموا كم غافلٍ ولكم وكم

أعلنتم السرّ الذي كتموا كما

قاضي قضاتكم الحقيقة قد كتم

فجرى بمجرى الجهل سابق علمه

بمصيره متعثّراً حتى ارتطم

هوذا مفاد (إشارة) سبقت لهم

لتنوب عن فهمه الذي الحجر التقم

نكـــروه وهـــي بـــحالها قـــد فسّـرت
من هيأة (المـندوب) مـا كـان (ابـنهم)

ثــم انــبرى (ذو التــاج) ثـمّة قـائلاً
والكـــلّ تـحسب مـن وجـومٍ كـالصنم

لكـــأنّ طـــيراً قـــد عـــلا تـــلك الرؤو
س فمَن بحضرته سوى (المولى) وجـم

وخـــــطابه للـــــرهط لامـــوه بـــمَن
بـــأبيه قـــبل مـــلامهم فـــيه ألم

يـــالائِمِيَّ وعـــذركم مـــن جـــهلكم
فـــيما عـــلمتُ فـــلو عـــلمتم لم أُلَـــم

جـــاريتكم كـــي تـــفهموا مـــن أمـره
مـــا غـــمّ بـــعدُ عـــليكم وخـــلاه ذم

هـــذا ابـــن ورثت نـــبوة العـــلم غـير
مـــدافـــعين فـــما لنـــا ولمـــن ظـــلم

ورثـــوه مـــنه حـــيث كـــان نـــصيبهم
مـــهما الخـــلاف مـن الخـلا لهـم حـرم

خلق الخـلاف حـديث (لا) وجـميعهم
تـــرك المـهمّ مـع الخـلاف إلى الأهـم

فـــرضوا الحـــديث مـــخالفاً للـذكر إذ
فـــي الإرث مـــفترضاً لمـــثلهم حكـم

هذا سليمان النبي ومثله
يحيىٰ وإرثهما من (العلم) الأعم
ما يصنع التأويل والعرب الأُولى
تركوا الفصيح إلى رطانات العجم؟!
في ظاهر اللفظ الذي هو حجة
عند الخصام لمن لحمكه احتكم
دعوى أبيها (الزوج) قوم قيلها
وسكوت عمّ الجدّ فريته دعم
ولَئِنْ زوى ميراثهم فبحسبهم
علم زواه الله عن (زوج وعم)
علم له حتى المعاند مذعن
فمقالكم (أمهله..) سُمّ في دسم
فهنا لكم مرقت من الأكَمِ العيو
ن فأبصرت شبحاً تسترّ بالأكم
ماذا يريد ترون وهو محاضر
في علمه بالنبش عن تلك الرمم؟
همساً لبعضهم ألا فلتقنطوا
(فابن الرضا) لولاية العهد استلم
يا للمفاجأة البغيضة أنّه
فيها أعاد اللحم منّا للوضم

هـــانه للابـــن بـــعد أبـيه قـد
أعــطى زمــام الأمــر أقـحم أم خـرم
بـــنياهم فـــي مــثل ذاك وكــلهم
مــمّا أطــار اللبّ يــنفخ فــي حـمم
وإذا المــحاضر عــند فــصل خـطابه
يــصل الحــديث بـما عـليه قـد عـزم
فــتراه يــقبل بــالحديث عــلى الذي
مــن أجـله شَـمل الحـضور قـد التـأم
يـابن الرضـا وبكَ الرضـا أعـرض فـد
يتك وابـنتي زوّجتُ مـنك رضـيتَ أم؟
فـــإذا تـــألّق نــجم ســعدي طــالعاً
وقــبلت (أُمّ الفـضل) زوجـاً قُـل: نـعم
واخطب لنـفسك حـيث شئت فـمهرها
مـــهما غـــلا مـــنّي فــلا يـعلوك هـم
فـــأجابه المــولى بـــما انــبسطت له
نــفس الأمـير كـمن تـنفّس عـنه غـم
ولقـــد تـــحوّل حـــيث هُــيّئ كــلّما
أوحـــى بــه لأمــينه نــحو الخــدم
فــبدوركم يـــا غــلمتي هــيّا اقـبلوا
بــــنثاركم فــالطيب فــالعقد انــتظم

هـيّا انـثروا فـي الحـاضرين وعـطِّروا
فـــالبِشر كـــلّ الكـــائنات أراه عـــم
شكـــــراً لذى نـــعم أرانـــي ضـــوؤها
عـــند اقـــتران (النـيّرين) مـدى النـعم
فـــإذا النـــدى ونـــده الفـــياح قـــد
مـــلأ الفـــضا مـــترنّح مـن خـمر شم
وإذا البـــلاط وكـــلّ شـــيء ضـــاحك
حـــتى (الرقـاع) كـثغر حسـناء ابـتسم
والرشـــــد وقـــــع بـــابتهاج مشـــعراً
بســـــروره الهـــادين فـــي بـــرٍّ ويـــم
رقـــصت قـــلوب المـــهتدين لضـــربه
بـــنياطها لا الضـــرب فـــي أوتـار بـم
أُنشـــــودة الأفـــــراح لحّـــنها الوفـــا
ءُ بـــثانِيَ (العـــهدين) فـي أشـهى رَنَـم
جـــــارى المـــوقّع صـــوته فكـــأنّما
مـــــزمار (داوود) أعـــــارَهما النـــغم
والكـــون يـــرفل فـــي مـطارف غـبطة
خـيطت بـهدب العـين لا بـذوات سُـم
بل كل ما في الكون تحسب مـن هـوى
فـــي العـــرس أفـــناناً تـنسّمت النَسـم

عرس تحاماه الخيال فلم يُطِق
تصويره للمعجمين بما رسم

عرس توهّمه الجميع سعادةً
لشتيتهم شعث الجميع بها يلم

عرس به الدنيا تزفّ وضيئة
للدين من أنواره البدر استتم

بغداد لم تشهد، وكم شهدت من الأ
عراس كالعرس العبوس له بَسَم

بغداد وهي بعصرها الذهبيّ لم
ترَ مثله نثر الفرائد قد نظم

لكنّني لنتيجة حصلت له
أدعو وإن عجلت ومن يدعو عتم

يا ويح ذاك العرس ينقصه الهنا
يا ليت لو تُعطى المنى ما كان تم

فلقد جنى مرّاً وأعقب لوعة
مَنَحا الشجى حلقي وقلبي للضرم

يا ويحَ أُمِّ الفضل غادر سمها
إنسان عين الفضل ثم صريع سُم

يا ويحها خبثت فغادر فضلها
أما تبنّت بعده الغدر الأذم

غـــدرت بأرعـــى العـــالمين لعـــهده
راعت بـــفعل الشـــرر رغـبة شـرّ عـمّ
تـــــركته مـــــنفرداً يـــجود بـــنفسه
فـي الدار بـارحـها القـطين خـلا الألم
تـــركته يـــلتمس المـــمرِّضَ لم يـــجد
فـــيها ســـوى ســـقم يـمرّض ذا سـقم
اللهُ مـــــن فـــعل القـــضاء بـــمرتجىٰ
لدفـــــاعه ولحـــــلّه إمّـــــا انـــبرم
ذو الوجـــه عـــند الله يـــصبح وجـــهه
يـــا للأســـى كـــالآس غـــصنه الشـيم

القصيدة التاسعة: للشيخ محمد جواد قسّام

بكـــــم آل بـــيت الله يُســـتدفع الضـــرُّ
وفي فضلكم قد صرّح الوحـي والذكـر
فـــأنتم هـــداة الخـلق للـحقّ والهـدى
وفـــيكم ومـــنكم لا لغـــيركم الفـــخر
تشيَّد هـذا الديـن فـي سيف جدِّكـم
ولولاه لم يـــخضع لتـــصديقه الكـــفر
فـــــما أســـلموا إلّا لحـــقن دمـــائهم
ولمّا التقى الجـمعانِ فـي (أُحـدٍ) فـرّوا

وجــاهدتُمُ فــي الله حــقّ جــهاده
فــبان له فــي بــذل جــهدكم النـصر
وأنــتم رعــاة النــاس حــقّاً وحــبّكم
من الله فرض كيف يُـعصى لكـم أمـر؟!
صــبرتم عــلى جــور الطـغاة وإنّـما
سلاح رجـال المـصلحين هـو الصـبر
عــزيز عـلى الإسـلام مـا حـلّ فـيكم
من الضـيم مـا يُشـجى لسـامعه الذكـر
فــبين قــتيل بــالطفوف مــعفّرٍ
تــوزّع فـي أحشـائه البـيض والسـمر
وبــين عــليل بــالقيود مــصفّدٍ
يرى حـرماً فـي الأسـر سـائقها زجـر
ولهـفي لكـم بـالسيف بـعض وبـعضكم
بسُــمٍّ قـضى هـذا لَـعَمري هـو الجـور
وإن أنسَ لا أنســى (الجــواد مـحمداً)
(أبــا جــعفرٍ) مـن فـيض أنـمله بـحر
مــعاجزه كــالنجم لاحت مــنيرةً
فـليس لهــا نكــر وليس لهـا حـصر
أقــرَّ بــها الحُسّــاد بــالرغم مــنهم
فسل عنه (يحيىٰ) حين حلّ بـه الحـصر

لقد أشخصوه عن مدينة جدّه
لبغداد قهراً عندما دُبِّر الأمر
ودسّوا له سُمّاً على يد زوجةٍ
بها من أبيها كامِنٌ ذلك الغدر
فظلّ يعاني السُمَّ في الدار وحده
ثلاثة أيامٍ أما علِمت فِهر؟!
قضى فوق سطح الدار والطير فوقه
تظلِّله كيلا يؤلِّمه الحرّ
ولكن على وجه الصعيد مجرَّداً
بقىٰ جدّه ثاوٍ وأكفانه العَفر

المثوى الطاهر في ذمة التاريخ

ويشمخ المرقد الطاهر للإمام الجواد بجوار جده موسىٰ بن جعفر رغم عادية الزمن وعواصف الأهواء، وتتداعىٰ مؤامرات الأعداء كلّما تشهق منائر المجد سمّواً، وتخلد عمائر الولاء كلما تداعت محاولات الاعداء..

وهكذا تحكي عمارة المرقد الشريف للإمام الجواد وجده موسى تاريخ معاناة الأُمّة ومحنة الإمامة:

١ ـ كانت عمارة المرقد لاتتعدى عن قبرٍ يضم رفاة الإمامين عليهما السلام في مقابر قريش يرتاده شيعته على خوفٍ ووجل خشية أُولئك الذين يراقبون شيعة الإمام ويمنعونهم من مزاولة حقوقهم في تجديد العهد للإمامين عليهما السلام.

٢ ـ وتعمّر البقعة المباركة بالدور المحيطة بالمرقد الشريف وتزداد أعداد الزائرين المرتادين للبقعة المباركة أيام الديالمة.

٣ ـ سنة ٣٣٦هـ يجدد معز الدولة أحمد بن بويه عمارة ضريحي الإمامين، ويأمر بتعيين الخدم والجند لتأمين خدمات المرقد وما تحتاجه جماهير الزائرين المحتشدة في البقعة المباركة.

٤ ـ سنة ٣٦٩هـ يعمّر عضد الدولة البويهي المشهد الطاهر بعمارةٍ جديدة.

٥ ـ سنة ٤٤٣هـ تقع الفتنة التي أدت إلى حرق المرقد الشريف ومحاولة الرعاع حفر القبر الطاهر ونقل الجثمانين الشريفين إلى مقبرة أحمد بن حنبل لكن شاء الله تعالى أن يحفظ هذا الصرح العظيم لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ فلم يأذن في خرابها، بل أذن في أن تبقى خالدة بخلود الإيمان، شامخة بشموخ المجد والولاء.

٦ ـ في سنة ٤٤٦هـ جدد المرقد الطاهر بعد الفتنة في بغداد.

٧ ـ في سنة ٤٩٠هـ عمارة أبو الفضل الأسعد بن موسى القمي أحد الوزراء السلجوقين.

٨ ـ سنة ٥١٧هـ تعرض الغوغاء إلى المرقد الطاهر محاولة منهم لهدمه وحرقه وذلك أيام المسترشد بالله العباسي، فعاثوا في الأرض الفساد وعمدوا إلى نهب المرقد وسرقة ما فيه من النفائس.

٩ ـ سنة ٥٧٥هـ كانت عمارة الناصر العباسي فقام ببناء المرقد الشريف وتعميره وتزيين الصندوق وبناء المآذن وتوسعة الصحن الشريف وبناء حجراته.

١٠ ـ تعرض المرقد الطاهر إلى حريق في أيام الظاهر بأمر الله العباسي

فاحترقت الأثاث والكتب.

١١ ـ في سنة ٩٦٦هـ كانت عمارة الشاه إسماعيل الصفوي فجدد المشهد الطاهر وبنى القبتين الشريفتين.

١٢ ـ في سنة ١٠٤٧هـ نهب جنود العثمانية المرقد الطاهر بعد دخول السلطان العثماني مراد الرابع إلى بغداد وسرقوا نفائس الحرم الشريف ونهب قناديل الذهب والفضة.

١٣ ـ سنة ١٢١١هـ كانت عمارة الشاه القاجاري محمد شاه بتذهيب القبتين والمنائر والايوان الصغير.

١٤ ـ وفي سنة ١٢٨٧هـ عمارة السلطان ناصر الدين شاه وأمر بنصب الضريح الفضي على الضريح الفولاذي.

١٥ ـ وفي سنة ١٢٩٣هـ قام فرهاد ميرزا عم ناصر الدين شاه ببناء الصحن الشريف وتجديد عمارته.

١٦ ـ وفي سنة ١٤٢٥هـ جدد الضريح الطاهر الذي أوعز ببنائه المرجع الديني الأعلى آية الله السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي وأشرف على انجازه جمع من الفضلاء في الحوزة العلمية في قم وكان لجهد السيد جلال فقيه ايماني وولده حجة الإسلام السيد محمد جلال فقيه ايماني الاثر البارز في انجاز هذا الضريح الرائع.

وقد كُلفت بنظم قصيدة كُتب بعضها على الضريح الطاهر وهي:

يــــاجوادَ الآلِ يـــانعمَ الجـــوادْ   يــاسميَ المـــصطفىٰ خــيرَ العــبادْ
ياابنَ موسىٰ والرِضا ضـاقَ الفـؤاد   قد أنختُ الركبَ فـي بـابِ المـراد

وسعيتُ اليومَ أرجو حاجتي

حاجتي تُقضىٰ فَما خابَ الوِفاد   مسّني الضُرُ فَلا أملِكُ زادْ
وَفَزعْتُ لائِذاً في خَيْرِ واد   قَد رَجَوتُ الفوزَ في يَومِ المِعادْ

بِبني الزَهرا ضَمِنتُ عُدَّتي

عُدَّتي في الحَشْرِ حُبُّ المُرتضىٰ   وَلِطهُرٍ وَزَكي وَشهيدٍ قَدْ مضَىٰ
وَأبي الباقرِ وابْنَيهِ وَموسىٰ والرِضا   وتَقيٍ ونَقيينِ وَمهديٍ قَضىٰ

مُحكَم الذِكرِ فَهاكُمْ حُجَتي

حُجَتي في كلِّ حينٍ لائحهْ   لِهوىٰ الآلِ شُجُوني واضِحهْ
وأَتيتُ بذنوبٍ فادحهْ   وسعيتُ بدموعٍ سائِحهْ

زائِراً موسىٰ لِتُجلىٰ كُربَتي

كُربَتي تُجْلىٰ بِموسى الكاظِم   قَدْ تَمَسَّكتُ بِحبلٍ دائِم
وَتَوجّهْتُ بِقولٍ عاصم   مارَواهُ عالِمٌ عن عالِمِ

قَدْ خَلفتُ الثُقلَ فيكُمْ عِترَتي

عِترتي تُنجي مِن نارِ الحَريقْ   يَومَ يَمتازُ فَريقٌ عَن فَريقْ
واعتَصمْتُ بِحمىٰ رُكنٍ وَثيقْ   يَومَ لايُغْني رَفَيقٌ عَن رَفيقْ

بسلامٍ إدخلوها جنتي

«قبرُ مُوسىٰ وِابنُه مِن جَنّتي»

السيد محمد علي الحلو

الفهارس الفنيّة

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الروايات الشريفة

محتويات الكتاب

فهرس الآيات

الآية	الصفحة

الآية	الصفحة

فهرس الأحاديث الشريفة

مصادر الكتاب

١ ـ الآداب السلطانية.

٢ ـ الاحتجاج: ، أحمد بن على بن ابى طالب طبرسى (من اعلام القرن السادس): دار الأُسوه، قم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤ ه.

٣ ـ الاخبار الطوال: أحمد بن داود الدينوري، (ت ٢٨٢ ه).

٤ ـ أدب الطف.

٥ ـ الارشاد: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) (ت ٤١٣ ه): مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣ ه.

٦ ـ أعلام الدين: الحسن بن أبي الحسن الديلمي، (من أعلام القرن الثامن الهجري) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ ه.

٧ ـ أعلام الهداية: لجنة التألين، نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ ه.

٨ ـ أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧٣ هق) تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٩ ـ الأغاني: أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، (ت ٣٥٦ ه).

١٠ ـ أكمال الدين: الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١ ه)، دار الكتب الاسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ ه.

١١ ـ الامالي: الطوسي: محمد بن الحسن طوسى (ت ٤٦٠): تحقيق قسم الدراسات الاسلاميه، نشر دارالثقافه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هق.

١٢ ـ الامالي: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العُكبرى البغدادى (شيخ مفيد ٤١٣ ه): تحقيق: حسين استاد ولى و على اكبر غفارى، دار النشر الاسلامية.

١٣ ـ الإمام الجواد من المهد الى اللحد: محمد كاظم القزويني (معاصر).

١٤ ـ الإمام محمد الجواد سيرة وتاريخ: عدنان الحسيني (معاصر).
١٥ ـ بحار الانوار: محمد باقر المجلسى (ت ١١١١ هـ ق): مؤسسة الوفاء، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ق.
١٦ ـ بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠ هـ): مؤسسة الأعلمى، افست، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٤ هـ ش.
١٧ ـ تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٧ هـ
١٨ ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية.
١٩ ـ تاريخ التمدن الاسلامي.
٢٠ ـ تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠ هـ).
٢١ ـ تاريخ عصر الخلافة العباسية: يوسف العشر (معاصر).
٢٢ ـ تحف العقول: الحسن بن على الحرانى (من اعلام القرن الرابع): تحقيق على اكبر غفارى، دار النشر الاسلامية، قم، الطبعة السابعة، ١٤٢٥ هـ.
٢٣ ـ التوحيد: شيخ الصدوق (٣٨١ هـق): دار النشر الاسلامية، قم، الطبعة السابعة، ١٤٢٢ هق.
٢٤ ـ الثاقب في المناقب: محمد بن على الطوسي (ابن حمزه)، (من أعلام القرن السادس)، نشر مؤسسه أنصاريان، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ.
٢٥ ـ ثواب الاعمال: شيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ): حسين اعلمي، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٨ هق.
٢٦ ـ حياة أولي النهى.
٢٧ ـ الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندى (ت ٥٧٣ هق): تحقيق ونشر مؤسسة امام المهدى (عج)، الطبعة الاولى، ١٤٠٩ هق.
٢٨ ـ الدرة الباهرة: محمد بن مكي (الشهيد الاول) (ت ٧٨٦ هـ) تحقيق جلال الدين علي الصغير.
٢٩ ـ ديوان السيد الحميري: اسماعيل بن محمد الحميري، (ت ١٧٣ هـ)، نشر مؤسسة

الاعلمي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ.
٣٠ ـ رجال الكشي: محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠ هـ): وزارت ارشاد اسلامى، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ. ش.
٣١ ـ شرح احقاق الحق: للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي ( ).
٣٢ ـ عصر المأمون، أحمد فريد رفاعي.
٣٣ ـ عوالم الجواد عليه السلام: تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدى (عج)، قم، الطبعة الأُولىٰ، ١٤١٣ هـ.
٣٤ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هق): منشورات شريف الرضي، قم، الطبعة الاولى، ١٣٧٨ هـ.
٣٥ ـ الغدير: عبدالحسين الامينى (ت ١٣٩٢ هق): مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٦ هق.
٣٦ ـ الغيبة: محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ)، نشر مؤسسة المعارف الاسلامي، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ هـ.
٣٧ ـ فرائد السمطين: ابراهيم الجويني الخراساني، (من اعلام القرن السابع والثامن الهجري)، نشر دار الحبيب، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٨ هـ.
٣٨ ـ الفصول المختارة: محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى (المفيد ٤١٣ هـ): تحقيق: على مير الشريفى، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
٣٩ ـ الفصول المهمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي (ابن الصباغ)، (ت ٨٥٥هـ) نشر دار الحديث، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ هـ.
٤٠ ـ الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هق): على اكبر غفارى، دارالكتب الاسلاميه، تهران، الطبعة السادسة، ١٣٧٥ هش.
٤١ ـ الكامل في التاريخ: عزّالدين أبى الحسن على بن أبى الكرم الشيبانى المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر و دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥ هـ.
٤٢ ـ كشف الغمة: على بن عيسى الاربلى (ت ٦٩٢ هق): احمد الحيتى، منشورات شريف الرضي، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢١ هق.
٤٣ ـ لسان العرب: لابن منظور، محمد بن المكرم بن أبى الحسن (ت ٧١١ هـ): مؤسسة

التاريخ العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ

٤٤ ـ **المجدي في أنساب الطالبيين**: علي بن محمد العلوي العمري (من أعلام القرن الخامس الهجري).

٤٥ ـ **مختصر أخبار شعراء الشيعة**: للمرزباني الخراساني.

٤٦ ـ مدينة المعاجز: السيد هاشم البحرانى (ت ١١٠٧هـ): مؤسسة المعارف الاسلاميه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ.

٤٧ ـ مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي، (ت ٣٤٦هـ).

٤٨ ـ معجم رجال الحديث: السيد الخوئى (ت ١٤١١ هق): أُفست، مركز نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هق.

٤٩ ـ **معجم شعراء الحسين عليه السلام**.

٥٠ ـ **مقاتل الطالبيين**: أبي الفرج الاصفهاني، (ت ٣٥٦هـ).

٥١ ـ مناقب آل الرسول: للنجف آبادي.

٥٢ ـ مناقب ابن شهر آشوب: محمد بن على بن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هق): تحقيق يوسف البقاعى، منشورات ذوي القربى، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢١هق.

٥٣ ـ منتهى الآمال: عباسى القمي، (ت ١٣٥٩هـ) نشر مؤسسة النشر الاسلامي، قم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ.

٥٤ ـ مهج الدعوات: علي بن موسى بن طاووسى، (ت ٦٦٤هـ)، نشر مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٥ ـ **موسوعة الامام الجواد عليه السلام**: السيد الحسيني القزويني.

٥٦ ـ نزحة الناظر وتنبيه الخاطر: حسين بن محمد الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري)، قم، ١٤٠٧هـ.

٥٧ ـ نور الأبصار: مؤمن الشبلنجي، (من أعلام القرن الثالث عشر الهجري)، منشورات الشريف الرضي، قم.

٥٨ ـ وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى (ت ١١٠٤هق): تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هق.

٥٩ ـ **وفاة الإمام الجواد عليه السلام**: عبد الرزاق المقرم.

فهرس محتويات الكتاب

الاصدارات العلمية
لمؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية

١ ـ فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: تأليف العلّامة محمّد جواد مغنية رحمه الله، (دورة فقهية كاملة في ست مجلّدات).

٢ ـ قصص القرآن الكريم دلالياً و جمالياً: تأليف الاستاذ الدكتور محمود البستاني (في مجلّدين).

٣ ـ محاضرات الإمام الخوئي رحمه الله في المواريث: بقلم السيّد محمّد علي الخرسان.

٤ ـ المولىٰ في الغدير: تأليف مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية.

٥ ـ أدب الشريعة الاسلامية: تأليف الاستاذ الدكتور محمود البستاني.

٦ ـ عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليهما السلام: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.

٧ ـ أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.

٨ ـ التحريف والمحرّفون: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.

٩ ـ الحسن بن علي عليهما السلام (رجل الحرب والسلام): تأليف السيّد محمّد علي الحلو.

١٠ ـ بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله: تأليف السيد المرتضىٰ الرضوي.

١١ ـ الحتميّات من علائم الظهور: تأليف السيّد فاروق البياتي الموسوي.

١٢ ـ معالم العقيدة الإسلامية: لجنة التأليف والبحوث العلمية للمؤسسة.

١٣ ـ هويّة التشيّع: للدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله تحقيق مؤسسة السبطين.

١٤ ـ نحن الشيعة الإمامية وهذه عقائدنا: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي.

١٥ ـ لماذا اخترنا مذهب الشيعة الإماميّة: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي.

١٦ ـ المثل الأعلىٰ: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي. مراجعة المؤسسة.

١٧ ـ الشيعه و فنون الإسلام: تأليف آيت الله السيد حسن صدر رحمه الله. مراجعة المؤسسة.

١٨ ـ هدية الزائرين (فارسي): تأليف الشيخ عبّاس القمّي رحمه الله، تحقيق المؤسسة.

١٩ ـ قطره‌اى از درياى غدير (فارسي): تأليف المؤسسة.

٢٠ ـ مهربانترين نامه (شرح الخطبة ٣١ لنهج البلاغة) (فارسي): تأليف السيّد علاء الدين الموسوي الإصفهاني.

٢١ ـ پرسش‌ها و پاسخ‌هاى اعتقادى (فارسي): تأليف المؤسسة.

٢٢ ـ روزشمار تاريخ اسلام (فارسي): تأليف المؤسسة.

٢٣ ـ غربت ياس (فارسى): تأليف المؤسسة.

٢٤ ـ حجاب حريم پاكى‌ها (فارسى): تأليف المؤسسة.

٢٥ ـ سكينة؛ پرده نشين قريش (فارسى): قسم الترجمة

٢٦ ـ شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام حقيقة تاريخية (أُردو): قسم الترجمة.

٢٧ ـ قطره‌اى از درياى غدير (أُردو): قسم الترجمة.

٢٨ ـ مشفقانه وصيت‌نامه (شرح خطبه ٣١ لنهج البلاغة) (أُردو): قسم الترجمة.

٢٩ ـ عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليهما السلام الملقبة بسكينة (انجليزي): قسم الترجمة.

٣٠ ـ شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام حقيقة تاريخية (انجليزي): قسم الترجمة.

٣١ ـ بحوث حول الإمامة (انجليزي): قسم الترجمة.

٣٢ ـ بحوث حول النبوة (انجليزي): قسم الترجمة.

٣٣ ـ علوم قرآنية (انجليزي): قسم الترجمة.

٣٤ ـ مفاهيم قرآنية (انجليزي): قسم الترجمة.

٣٥ ـ بحوث عقائدية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: نصوص مختارة من مؤلفات الإمام السيّد الخوئي قدس سره.

٣٦ ـ عصر الغيبة، الوظائف والواجبات.: تأليف الشيخ علي الشطري.

٣٧ـ العروة الوثقى والتعليقات عليها (الجزء الأوّل ـ الإجتهاد والتقليد) تأليف السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، ويشمل (٤١ تعليقة). من أعداد مؤسسة السبطين عليهما السلام.

٣٨ـ الإمام الجواد عليه السلام، الإمامة المبكّرة: تأليف السيد محمد علي الحلو.

٣٩ـ أطيب البيان في تفسير القرآن (الجزء الأول، فارسي): تأليف آيت الله سيد عبدالحسين الطيب قدس سره، تحقيق مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية.

٤٠ـ أطيب البيان في تفسير القرآن (الجزء الثاني والثالث، فارسي): تأليف آيت الله سيد عبدالحسين الطيب قدس سره، تحقيق مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية.

يرجى الانتباه!

نلفت نظر القرّاء الكرام بأن كتاب فقه الامام الصادق عليه السلام المحقّق والمطبوع من قِبَلِ المؤسسّة في ست مجلّدات.

نشرته جهة مجهولة بدون علم وترخيص المؤسسة في ثلاث مجلّدات.

وبهذا نرجو من القراء الكرام ودور النشر الموقرة باشعار المؤسسة عن موزع الكتاب المذكور في ثلاث مجلدات.